



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مظاهر الاغتراب في رواية الملحد لـ "عبد الرشيد هميسي"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبات:

إشراف الدكتورة:

يمينة منصر
سهام بن عمر
هاجر سالمى

د. فوزية تقار

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الأستاذ
رئيسا	الشهيد حمه لخضر-الوادي	د. العلمي مسعودي
مشرفا و مقررا	الشهيد حمه لخضر-الوادي	د. فوزية تقار
مناقشا	الشهيد حمه لخضر-الوادي	د. فضيلة بوجلخة

الموسم الجامعي : 2023/2022-1444/1443م

سورة التوبة

قال الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي 25 وَيَسِّرْ لِي

أَمْرِي 26 وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي 27 يَفْقَهُوا

قَوْلِي 28 ﴾ *سورة طه*

شكر وعرفان

قال تعالى ﴿... لئن شكرتم لأزيدنكم...﴾ سورة إبراهيم (7)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

بناءً على كل ما سبق، فإننا نتقدم بحزب الشكر وخالص الامتنان

إلى الأستاذة المشرفة "الدكتورة فوزية تقار"

على متابعتها مراحل إنجاز هذا البحث

وطالبة الدكتوراه وحيدة فرجاني

والشكر موصول لأصحاب الأفكار النيرة أساتذتنا الكرام في قسم اللغة والأدب العربي

بجامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي

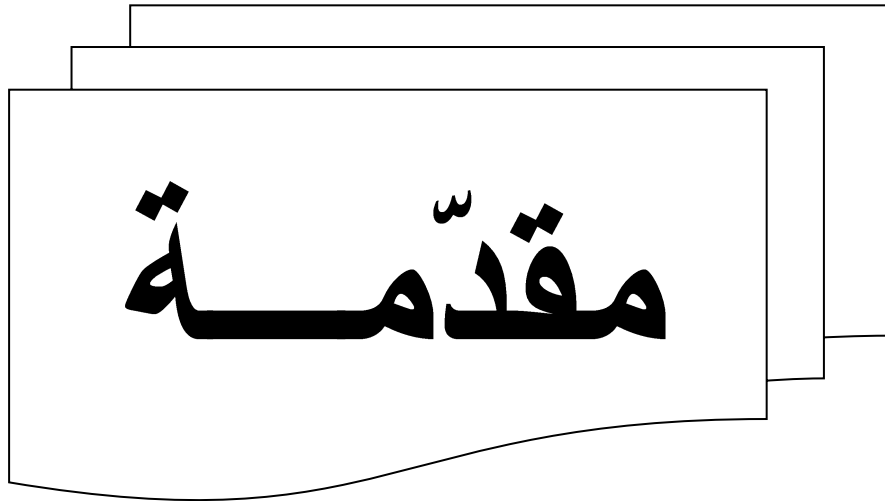
الذين تولوا تدريسنا وأتاروا طريقنا بتوجيهاتهم الرشيدة وآرائهم السديدة

ولكل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد .

إهداء

إلى من كلت أنا ملهم ليقدّموا لنا لحظة سعادة
إلى من حصّدوا الأشواك ليمهدوا لنا طريق العلم
إلى نبع الحنان ورمز الحب والعطاء
إلى من أظهروا لنا ما هو أجمل من الحياة
إلى الوالدين الكريمين والإخوة والأخوات
والروح والد منصر ميمنة
إلى كل من تذوقنا معهم
أجمل اللحظات من الزملاء والزميلات، إلى من سعدنا برقتهم طيلة مشوارنا
إلى من سرنا معهم على درب النجاح
إلى من تبقى صورتهم في عيوننا
إلى كل هؤلاء
وكل من يحبنا بصدق نهدي ثمرة هذا الجهد .

سهام - ميمنة - هاجر



مقدمة :

لقيت الرواية العربية و الجزائرية اهتمام بالغ الأهمية من طرف النقاد و الدارسين فكانت محل دراسة و تحليل في كثير من البحوث العلمية، والأكاديمية في عدت جامعات، لكونها امتلكت القدرة ،على تصوير الواقع،، والانتساع والثراء، في لمس موضوعات ذات أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع .

من أبرز هذه الموضوعات التي تناولها السرد موضوع الاغتراب الذي انتشر كثيرا في الحياة المعاصرة نتيجة لتعدد مظاهر الحياة .

الاغتراب هو نوع من الاضطراب في علاقة الفرد بنفسه وبالعالم، وهو ظاهرة متجذرة في حياة البشر منذ أن شعر الإنسان بضرورة الغربة ، وتغيير مكان عيشه نتيجة لظلم أو قهر ما مورس عليه، أو حتى بغربة وهو في وطنه، وبين أهله وذويه، وهي أشد أنواع الاغتراب إيلا ما على النفس البشرية .

الموضوع الذي شغل نقاد الشعر والرواية في محاولة لمعرفة هذه الظاهرة عن قرب وفهم أسبابها، وعلى هذا الأساس كان موضوعنا المختار لهذا البحث (مظاهر الاغتراب في رواية الملحد لعبد الرشيد هميسي)، وكان دافعنا في تناول هذا الموضوع معرفة كيف عالج الروائي ظاهرة الإلحاد المتفشية في المجتمعات العربية في هذا العصر والاستفادة منها كما لنا سبب آخر، وهو الاهتمام بدراسة أدبنا المحلي وإعطائه قيمته ، و المكانة التي يستحقها، و رواية (الملحد) الفائزة بالمركز الثاني عن فئة الرواية للشباب لجائزة راشد للإبداع من دولة الإمارات المتحدة العربية .

كانت إشكالية البحث :

كيف تظهر الاغتراب في رواية الملحد ؟ وماهي أشكاله ؟، وتفرعت هذه الإشكالية إلى عدة تساؤلات نذكرها فيما يلي: ما هي أسبابه وأنواعه؟، ثم كيف تجلى الاغتراب الذاتي والعاطفي والاجتماعي والديني في رواية الملحد بين الواقع و المتخيل السردية؟، وما هي ملامح الاغتراب من خلال المكونات السردية ؟.

للإجابة عن هذه التساؤلات سطرنا خطة مفصلة تتكون من مدخل وفصلين وخاتمة، أما المدخل: بعنوان ماهية الاغتراب ومظاهره وتجلياته في الأدب ، يتضمن أربعة عناوين فرعية هي: مفهوم الاغتراب (لغة واصطلاحاً)، ومفهوم الاغتراب في المنظورين الغربي والعربي، ومظاهر الاغتراب وأسبابه، وتجلياته في الشعر والأدب . ويليه الفصل الأول بعنوان الاغتراب الديني والذاتي والاجتماعي، تناولنا فيه الاغتراب و تجلياته في العتبة النصية في رواية الملحد، والاغتراب عن المعتقدات والقيم الدينية، وفصل ثان بعنوان تجليات الاغتراب من خلال المكونات السردية في رواية الملحد، وتحدثنا من خلاله عن الاغتراب في الفضاء المكاني داخل الوطن، وخارجه (الأنا، والآخر)، والاغتراب في الزمانية السردية، لينتهي بحثنا بخاتمة شاملة، لخصنا فيها النتائج التي استقينها من هذه الدراسة، و لنتمين هذه الخطة اعتمدنا على منهجين سياقيين هما النفسي والاجتماعي في تحليل ظاهرة الاغتراب كما استحضرننا بعض آليات المنهج السيميائي، في تحليل العتبات النصية، كما استدعى المنهج البنيوي في دراسات البنيات السردية (بنية الزمان، بنية المكان) مع الاعتماد على آليتي الوصف والتحليل.

استعنا في انجاز بحثنا بعدة مراجع قيمة نذكر منها : الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، ليحي العبد الله. دراسات في سيكولوجية الاغتراب لعبد اللطيف محمد خليفة. الاغتراب في الثقافة العربية لحليم بركات، في الثقافة والهوية والاغتراب لسفيان ميمون، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي للزهر مساعديّة.

من الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة كون الموضوع نفسي أكثر منه أدبي يغوص في علاقة الفرد بالمجتمع المحيط به، وآثارها النفسية عليه وكذلك يعتبر موضوع الاغتراب واسع ومتشعب، وهو موضوع محل دراسة منذ مدة بعيدة إلى يومنا هذا وهو ما جعله موضوعاً متجدداً ولا ننسى أن نذكر ضيق الوقت الذي لعب دوراً كبيراً في تجاوزنا لمعلومات مهمة كانت ستزيد من قيمة الدراسة، مع الالتزام بعدد صفحات محدد .

اعترافاً مناّ بالجميل نتقدم بالشكر إلى كل من ساندنا ودعّمنا في إنجاز هذا البحث خاصة أستاذتنا الفاضلة الدكتورة " فوزية تقار " التي منحتنا الفرصة لدراسة هذا الموضوع، كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى السادة الأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة التي ستقوم بمهمة نقد وقراءة و نقد، هذا العمل. وفي الأخير نشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقنا في الوصول إلى هذه المرحلة من الدراسة فله الحمد من قبل ومن بعد.

يمينة منصر

سهام بن عمر

هاجر سالمى

2023/05/ 20

مدخل :

ماهية الاغتراب ومظاهره وتجلياته في الأدب

أولاً: مفهوم الاغتراب (لغة و اصطلاحاً)

ثانياً: مفهوم الاغتراب من المنظور الفكر الغربي و العربي

ثالثاً: مظاهر الاغتراب و أسبابه

رابعاً: تجليات الاغتراب في الأدب

أولا - مفهوم الاغتراب :

1- لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور: "غَرَبَ أَيُّ بَعُدَ، ويقال: أُغْرِبُ عَنِّي أَيُّ تَبَاعَدُ، ومنه الحديث: أنه أمر بتغريب الزَّانِي، التغريبُ: النَّفْيُ عن البلد الذي وقعت فيه الجناية (.....) والغربة والغُربُ: النَّزُوحُ عن الوطن والَاغْتِرَابُ والتَّغَرُّبُ كذلك، نقول منه: تَغَرَّبَ وَاغْتَرَبَ وقد غرِبَ الدَّهْرُ، وغريب: بعيد عن وطنه والَاغْتِرَابُ افتعال من الغربة" 1).

إذن الاغتراب يعني التباعد والنزوح عن الوطن فدلَّ ذلك عن الغربة المكانية، بينما أخذ المعنى اللغوي الأجنبي معنى انتقال الملكية لشيء ما من شخص إلى آخر كما جمل معنى الابتعاد عن الآخرين ورفض العلاقة مع الآخر.

2- اصطلاحا :

الاغتراب مفهوم يتردد كثيرا لدى الإنسان المعاصر، إذ برغم منجزاته الفكرية والحضارية المتسارعة إلا أننا نجده يقف عاجزا عن مواجهة سلبيات هذا التقدم السريع، ومن هذه السلبيات ظاهرة اغتراب الفرد أو انعزاله وتقوقعه داخل نفسه وابتعاده عما يحدث حوله وعدم تفاعله مع محيطه ، وقد عرّفه أحدهم بأنه " شعور الفرد بالعزلة وعدم الانتماء وفقدان ورفض القيم والمعايير الاجتماعية، والمعاناة من الضغوط وتعرّض وحدة الشخصية للضغط والانهيار بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية الذي تتم في المجتمع". 2

أمّا في اللغات الأجنبية كالفرنسية والانجليزية فقد اشتقت كلمة اغتراب من اللغة اللاتينية حيث " إنَّ المقابل للكلمة العربية (اغتراب) هو الكلمة الانجليزية *aliénation*

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة و النشر و دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، مح1، ط1، 1968، ص 639، مادة (غرب).

2 - سناء حامد زهران: إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر و معتقدات الاغتراب، عالم الكاتب، مصر، ط1، 2004، ص153، 154 .

والفرنسية *aliénation* وفي الألمانية *entfremdung* وقد اشتقت كل من الكلمة الفرنسية والانكليزية من الكلمة اللاتينية *alienation* وهي مستمدة من الفعل اللاتيني *alienar* الذي يعني نقل ملكية شيء ما إلى آخر¹.

ويغلب على الشخص المصاب بالاغتراب العزلة والوحدة وعدم القدرة على التواصل مع الآخرين، ويمكن القول بأن الاغتراب حالة اجتماعية ونفسية مزدوجة تتسم بعدم الاندماج والعزلة الاجتماعية والانفصال النفسي.

ثانيا- الاغتراب في الفكر الغربي والعربي :

على الرغم من كثرة الكتابات التي تتناول موضوع الاغتراب، فإن مفهومه لا يزال تتضارب حوله الآراء والاتجاهات ولا يزال يعاني الغموض وهو أمر طبيعي بالنظر لكونه موضوع يلمس جوانب فكرية، فلسفية، نفسية واجتماعية واقتصادية وغيرها وهذا ما جعل الآراء حوله متباينة إلى حد بعيد .

وفي ما يلي نسلط الضوء على قضية الاغتراب في الفكر الغربي والعربي بالتركيز على أهم المفكرين الذين خاضوا في هذا المجال تأليفا ودراسة .

1- الاغتراب من منظور الفكر الغربي :

لقد بدأ مفهوم الاغتراب يظهر منذ القديم عند فلاسفة الإغريق كسقراط وأفلاطون، حيث يرى هؤلاء أن حرمان الإنسان من حقه الطبيعي أو القانوني كفيل بجعله يشعر بالغربة والاغتراب فهذا أفلاطون " الذي اغترب عن أخلاقيات عصره ومجتمعه ودعا إلى إقامة جمهورية فاضلة يحكمها الفلاسفة حتى يتحقق العدل فكان يقصد بالاغتراب ابتعاد الإنسان عن عالم المثل وعيشه في عالم طارئ دون إرادته"²، أمّا الفلاسفة المحدثون نذكر منهم:

1 - فيصل عباس، الاغتراب: الإنسان المعاصر و شقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، بيروت لبنان ، ط1، 2008، ص 19 .

2 - فريد معشوشو، الاغتراب في الشعر الاسلامي المعاصر، شبكة الألوكة، ط2، 2015، ص 13 .

❖ فريديك هيجل : (Friederich Hegel)

مفكر وفيلسوف ألماني، من الفلاسفة الذين تناولوا ظاهرة الاغتراب بالدراسة والتأليف وتتلخص نظراته الفلسفية للاغتراب إلى أن الروح هي منبع الخلق للعالم و" أن جميع ظواهر الطبيعة والمجتمع إنما هي استلابات للروح أو تخارجات عنها"¹.

يعني أن العلاقة بين (الذات) الجوهر و(الموضوع) العالم المنبثق عنها هي علاقة جدلية تعتبر نواة تشكيل الاغتراب ويحدث ذلك في لحظة تمزق وانقسام الأنا، ففي بداية العلاقة بين الذات والموضوع يكون التماثل والانسجام سمة أساسية بينهما، ولكن في لحظة الانشطار الذي يحدث على مستوى الذات تختفي تلك الوحدة بينهما وبين الموضوع وحينئذ تولد لحظتان مستقلتان من الوعي، لحظة الأنا ولحظة الموضوع المتضادتان.

إن عملية الاستلاب هي حالة انفصال عن الذات وهذا التمزق هو ما يؤدي إلى حالة الاغتراب، " فالاغتراب يمثل حالة الانبثاق والابتعاد عن الذات الواحدة وخلق ذوات أخرى خارج هذه الذات"².

ومن أجل تجاوز الاغتراب يرى هيجل ضرورة اندماج الأفراد ببعضهم البعض بدرجة أولى، ثم اندماجهم مع المجتمع ومؤسساته بدرجة ثانية، وإن أي تأخر للإنسان عن تحقيق هذا الاندماج مع العالم الذي انفصل عنه وفقدانه السيطرة على هذا الواقع سيؤدي به إلى البقاء في حالة اغتراب دائم.

ولقد وجهت ملاحظات لهذه الرؤية الهيجلية للاغتراب مفادها أن الإنسان عندما يتخلى عن فرديته من أجل الاندماج والتوحد مع المجتمع هروباً من الاغتراب الاجتماعي فإنه بانفصاله عن نفسه ومبادئه يكون قد وقع في فخ الاغتراب عن ذاته، وهو أشدّ إيلاماً من السابق.

1 - فيصل عباس، الاغتراب: الإنسان المعاصر و شقاء الوعي، ص48.

2 - سفيان ميمون، في الثقافة و الهوية و الاغتراب، جدل الهوية الثقافية في الجزائر، دار الأيام للنشر و التوزيع، عمان الأردن، دط، 2021، ص111 .

❖ كارل ماركس : (karl Marx)

من الفلاسفة المحدثون الذين كتبوا عن الاغتراب، لكن لم يهتم به كظاهرة إنسانية ؛ بل كأحد مخرجات ونتائج الوضع الاقتصادي الذي تفرضه البرجوازية على طبقة (البروليتاريا) العمّال، يرى ماركس أنّ الإنسان شعر بالاغتراب منذ أن وجد نفسه عبارة عن أداة من أدوات الإنتاج، لا قيمة تذكر لإنسانيته محروما من أبسط حقوقه؛ كالحق في التملك، بل إن حياته كلها ملك لطبقة الملاك يتصرفون فيها حسب ما يحلو لهم. إذن هذا الجشع والاستغلال الاقتصادي للعمّال أفقدهم الاتصال الحقيقي بالعمل الذي يقومون به، وبالتالي فقدوا هويتهم الشخصية وعجزوا عن الاندماج في المجتمع الرأسمالي وعاشوا على هامش المجتمع.

يعتبر ماركس أن الاغتراب يحدث نتيجة لتحويل العمل إلى سلعة، حيث يتحكم رأس المال بعمل الفرد ويحوّله إلى مجرد أداة لتحقيق الربّح، فيفقد السيطرة على حياته ويصبح غريبا عن نفسه وعن المجتمع الذي يعيش فيه، ويؤدي هذا الواقع الاقتصادي والاجتماعي إلى الشعور بالعزلة والضياع وانعدام الثقة بين أفراد المجتمع ويحيل ذلك كله إلى تفكك المجتمع وزيادة الصراعات والتوترات الاجتماعية لذلك " إنّ تجاوز الاغتراب حسب ماركس يكون من خلال القضاء على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج التي خلقت الجشع الاقتصادي وأفضت إلى اغتراب الإنسان"¹، فلن ينعم المجتمع بالسلام إلا إذا تمّ تحقيق العدالة الاجتماعية بالتوازن بين المصلحة العامة والمصلحة الفردية .

❖ إيريك فروم : (Erich Fromm)

إيريك فروم عالم نفس نمساوي أمريكي وفيلسوف، قدّم رؤيته الخاصّة حول الاغتراب في كتابه (هروب من الهوية)، يركز فروم على اغتراب الإنسان المعاصر ويعتقد: " أن كثيرا من الناس يعيشون تحت وهم أنهم يتبعون أفكارهم ومشاعرهم وأنهم منفردون، ولكن الحقيقة أنهم يفكرون ويشعرون من خلال السلطات المجهولة التي تهيمن عليهم كسلطة

1 - سفيان ميمون، في الثقافة و الهوية والاغتراب، جدل الهوية الثقافية في الجزائر، ص127 .

الحس المشترك والرأي العام"¹، أشار إلى أنّ الاغتراب يحدث نتيجة لعدم وجود اتصال بين الإنسان وذاته الحقيقية فيتحوّل إلى شخصية متناهية الصغر ومستبعدة للعوامل الخارجية ثمّ يتطور ذلك الشعور بالانفصال عن الذات إلى انفصال مع المجتمع، فيفقد الفرد الشعور بالهوية والانتماء إلى مجموعة معينة أو مجتمع محدّد، فيشعر بالفراغ الروحي والعاطفي ممّا يؤثر سلبيًا على نوعية حياته فيجعله عرضة للقلق والتوتر الدائم .

يعتبر فروم أنّ الاغتراب ينتج عن عدم وجود علاقات اجتماعية حقيقية وصحيّة بين الأفراد، فيؤدي هذا إلى فقدان الاتصال والتواصل بينهم، ممّا يؤثر بشكل كبير على الصحة النفسية للفرد، ففقدان الاتصال الصادق بالآخرين يجعل الفرد عرضة للتحكم والسيطرة الخارجية وبالتالي يفقد القدرة على اتخاذ قراراته الحرّة والمستقلّة.

ركّز (فروم) على الجانب الفردي، وعلى أهمية تحقيق الذات وتطوير الشخصية الحقيقية، لكنّه تجاهل العوامل الخارجية المسبّبة للاغتراب ، مثل العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، لأنّ الإنسان إذا حقق التصالح النفسي بينه وبين ذاته فإنّه عليه في الوقت نفسه التصالح مع محيطه كذلك، وتقليل حدّة الاغتراب، وردم الفجوة بينه وبين مجتمعه.

فرؤية فروم لهذا الموضوع إيجابية مفيدة لكنها تفتقر إلى التوازن وتحتاج إلى التكامل وبين الأنا والآخر أو بين تحقيق الذات والتواصل الفعّال مع المجتمع.

❖ جون جاك روسو: (Jean-Jacques Rousseau)

الاغتراب موضوع شائع في فلسفة الحياة والأدب، وقد قام جون جاك روسو بتناول هذا الموضوع في كتابه (العقد الاجتماعي)، وفي هذا الكتاب يتحدث روسو عن الاغتراب بمعنى الفصل بين الفرد والمجتمع، حيث يشعر الفرد بالعزلة عن مجتمعه وبيئته

1- إريك فروم، الخوف من الحرية، تر: مجاهد عبد المنعم، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت لبنان ، ط 1، 1972، ص202.

الاجتماعية، " وفكرة الاغتراب لديه تردُّ بمعنيين فهي ترد في كتابه "العقد الاجتماعي" لتعبر عن دلالة ايجابية، وترد في كتاباته النقدية للمجتمع لتعبر عن دلالة سلبية¹.

ويعتبر الاغتراب على أنه نتيجة لتزايد الفجوة بين الفرد والمجتمع، وهو يتضمن مشاعر الفرد السلبية، والتي تنشأ نتيجة لعدم الانتماء ، والتماهي مع المجتمع المحيط به، وعادة ما يكون للاغتراب تأثيرات سلبية على الفرد حيث يشعر بالحزن والوحدة والإحباط.

ويمكن أن يؤدي الاغتراب إلى تحطيم الروابط الاجتماعية بين الفرد والمجتمع، ومن ثمَّ يؤدي إلى تدني مستوى الحياة الاجتماعية ، وتدهور العلاقات بين أفرادها ، ولهذا السبب يعتبر (روسو) الاغتراب من أهم المشاكل التي تواجه المجتمعات البشرية، ويرى أن حل هذه المشكلة يتطلب إعادة الاتصال بين الفرد والمجتمع، وتشجيع التفاعل، والتواصل بين الأفراد و الجماعات المختلفة في المجتمع الواحد .

يتمحور رأي (روسو) حول فكرة أن الإنسان الطبيعي يعيش في حالة اتحاد مع الطبيعة والمجتمع، وأنَّ الاغتراب يؤدي إلى فقدان هذا الاتحاد والتواصل الطبيعي مع الآخرين ، والعالم المحيط به ويصل به إلى الشعور بالوحدة والعزلة والتشتت.

يمكن القول أن رؤية (روسو) تفنقر إلى الواقعية ، وإمكانية التطبيق على أرض الواقع، فالإنسان الحديث يعيش في عالم مختلف عن ظروف العيش في زمانه، ومع تطور التكنولوجيا، والعولمة وسهولة التنقل يمكن أن يعيش الإنسان في أي مكان، ويتواصل مع الآخرين بطرق متعددة .

بشكل عام يمكن القول أن رؤية (روسو) حول الاغتراب تفنقر إلى التوازن بين النظرة الرومانسية للعلاقة، و الإنسان والطبيعة والمجتمع ، وبين الواقعية التطبيقية للحياة الحديثة بما يتناسب مع تطوّر العصر والتحوّلات الاجتماعية ، والثقافية .

1- فيصل عباس، الاغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، ص28.

2- الاغتراب من منظور الفكر العربي :

الاغتراب تجربة ضاربة بجذورها في أعماق النفس البشرية، فمنذ أن بدأت تنبض الحياة، وبدأ الصراع مع قابيل وهابيل، الذي تلاه الندم، والحيرة، والرحلة، ومن هنا بدأت ظاهرة الاغتراب .

الاغتراب ظاهرة إنسانية، وجدت بوجود الإنسان، وهو من المواضيع الهامة التي عبّر عنها القرآن الكريم، حيث أن خروج آدم من الجنة، وهبوطه إلى الأرض كان أول اغتراب في البشرية جمعاء، وهذا يدل على أنه مصطلح قديم، وتعود بداياته إلى بداية ظهور الإنسان.

" وهناك من يرى أن الإسلام في جوهره اغتراب وتحول اجتماعي نوعي بحكم كونه هجر عبادة الأوثان والأصنام، وثورة على النظام الاجتماعي غير العادل وإبداله بنظام تسوده مبادئ الحرية والعدالة الاجتماعية وكرامة الإنسان، وثورة نفسية داخلية ضد سلطة النفس الأمارة بالسوء"¹، وحمل مفهوم الاغتراب في الإسلام معنى إيجابي بأنه يروم الابتعاد عن الرذائل وترك حياة الفسق، ويعود إلى الزهد في متع الدنيا، ولا يجب أن تفهم من ذلك أن الإسلام يؤدي إلى اعتزال الناس أو العيش بينهم.

إنّ الاغتراب في الإسلام ثلاث درجات يقول فتح الله خليف: " الاغتراب في الاسلام جاء في ثلاث درجات هي: اغتراب المسلم بين الناس اغتراب المؤمن بين المؤمنين واغتراب العالم بين المؤمنين، فغربة العلماء هي أشد أنواع الاغتراب لقلّتهم بين الناس وقلة مشاركة الناس لهم."²، يمضي حليم بركات في تحليل الاغتراب في جانبه الديني في الوطن العربي فيرى أنّ الاغتراب من حيث علاقته، بالمؤسسات الدينية نوعان:

1- أحمد علي الفلاح، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2013، ص17، 18.

2- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة مصر، دط، 2003، ص101.

"اغتراب عن الدين: بمعنى رفض المؤسسة الدينية القسرية والخروج عليها، وبخاصة في محاولتها مقاومة التغيير.

اغتراب في الدين: بمعنى أن المؤمن المتشدد في إيمانه ينسب قواه الذاتية إلى قوى خارج نفسه ويسلمها مصيره باستقلال عنه".¹

عند القدماء من الفلاسفة نذكر العالم والفقيه المسلم أبو حيان التوحيدي " الذي استمد آراءه من حياته، التي أمضاها بائساً، فقيراً، منبوذاً، جاب البلدان وقصد الأمراء، ولم يُحط بطائل، فحقد على كل الناس وأراد الانتقام منهم كما أقدم على إحراق كتب له، معللاً ذلك في رسالة كتبها إلى صديقه كانا لاهمه عن فعلته "².

ومنه أبو حيان التوحيدي اغترب في وطنه ، وهو موجود فيه ثم اغترب عنه حين غادره، والملاحظ هنا اغتراب اجتماعي منذ القدم.

بينما يشرح المفكر العربي ابن قيم الجوزية مفهوم الغربة في قوله: " الغربة ثلاثة أنواع : غربة الله وأهل السنة ورسوله بين هذا الخلق وهي التي مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهلها، وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان وفي وقت دون وقت، وبين قوم دون قوم، ولكن أهل هذه الغربة هم أهل الباطل والفجور بين أهل الحق، (...) والغربة عن الأوطان"³

وعند المحدثين من العرب أصبح الاغتراب حالة شائعة ، ومميزة للإنسان في العصر الحديث، وقد تعددت مفاهيمه نتيجة للزخم المعرفي الهائل المميز للعصر، نتيجة كذلك لتداخل الحقول المعرفية على كثرتها، يقول محمود رجب : " إن الكلمات شأنها شأن الأشخاص والشعوب لا تتشأ في فراغ وإنما تتشأ في قلب المجتمع البشري، ومن الصعب

1- سفيان ميمون في الثقافة والهوية و الاغتراب، جدل الهوية الثقافية في الجزائر، ص147.

2- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان ، دط، 1998، ص154 .

3- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 2006، ص858.

فهم دلالتها حق الفهم بمعزل عن المشكلات الإنسانية والظروف التاريخية التي مرت بعصور ممن استخدموها من مفكرين وفلاسفة¹.

يتضح من ممّا سبق بأنّه لا يمكن فهم دلالة كلمة ما بفصلها عن السياق التاريخي، والاجتماعي لمستخدميها من المفكرين والفلاسفة.

ومن آراء بعض المحدثين : يقول عمر بوقرورة : "الغربة ظاهرة قديمة رافقت المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة، ولكنها كانت غربة واضحة المفهوم والمصطلح، بينما اتخذت لها صورا معقدة في العصر الحديث بل صارت من أكثر المفاهيم إثارة للجدل بسبب التعاريف الكثيرة التي وضعت لها"².

يشير بوقرورة في حديثه إلى صعوبة ضبط مفهوم الغربة، بسبب كثرة التعاريف الموضوعية له على اختلافها - في العصر الحديث-، وربما يمكن رد ذلك إلى ما سلف ذكره من تميز هذا العصر بزخم معرفي هائل أين تداخلت فيه الحقول المعرفية، وأصبح من الصعوبة فهم دلالة مصطلح بعينه .

ويعرّف الدكتور يوسف عز الدين : "الغربة هي الاحساس الداخلي بأن الفرد معزول عن المجتمع الذي يعيش فيه، بما يراه بعيدا عن عاداته وتقاليده، وطرز حياته الذي ألفه في وطنه، وأحيانا في أشكال الناس ولغاتهم وعاداتهم الاجتماعية"³.

ومن تعريف يوسف عز الدين أن الغربة المقصودة هي الغربة عن الوطن، وهذا ما تفسره العبارات الواردة في نهاية التعريف.

1 - محمود رجب، الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف ، القاهرة مصر ، ط3، 1988، ص8.

2- عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري (1945-1962)، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، د ط، د ت، ص16.

3- لزهة مساعدي، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2013، ص61.

ثالثاً- مظاهر الاغتراب وأسبابه :

1- مظاهر الاغتراب :

على الرغم من أنه لا يوجد اتفاق تام للباحثين على معنى واحد ينظر فيه لمفهوم الاغتراب، فإنه هناك اتفاق بينهم على العديد من المظاهر، والأبعاد ونعرض فيما يلي أبرز مظاهر الاغتراب التي وردت ، في الدراسات التي تناولت الموضوع .

❖ العجز : (Pawerlessness)

ومعناه " شعور الفرد بأن لاحول ولا قوة، وأنه لا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته وبالتالي لا يستطيع أن يقرر مصيره، فمصيره وإرادته ليسا بيديه ؛ بل تحددهما عوامل أقوى خارجة عن إرادته الذاتية، كما لا يمكنه أن يؤثر في مجرى الأحداث أو وضع القرارات المصيرية الحياتية، وبالتالي يعجز عن تحقيق ذاته أو يشعر بحالة من الاستسلام والخضوع وجوهر العجز أو فقدان القدرة هو (توقع) الفرد بأنه لا يملك القدرة على التحكم وممارسته الضبط، لأن الأشياء حوله تسيطر عليها ظروف خارجية أقوى منه ومن إرادته".¹

وفي تحليل (ميلغن سيمان) لهذا المفهوم أكد أمرين هما:

أ- يتعين ألا ينظر بالضرورة إلى مفهوم الاغتراب باعتباره حالة شائعة يبدو معها، وكأنه أمر قائم وليس باعتباره مجرد إحساس تولد عن بعض الظروف الموضوعية بالقدرة أو عدمها على التأثير في الأحداث الجارية .

ب- يتعين عدم الربط بين العجز، ومسألة توافق الشخصية، أي عدم الربط بين حالة الاحساس باللاّقوة وحالة سوء التوافق الناشئ عن عدم القدرة " ² .

1- ينظر، يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2008، ص18.

2- أحمد النكلاوي، الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر، دار الثقافة العربية، القاهرة مصر، دط، دت، ص 121 .

وهناك تعريف اجرائي لبعد العجز، وخبرة افتقاد القدرة كنمط اغرائي، بأنه الحالة التي يصبح فيها الأفراد في ظل سياق مجتمعي محدد يتوقعون مقدما أنهم لا يستطيعون أو لا يملكون تقرير أو تحقيق ما يتطلعون إليه من نتائج أو مخرجات خلال سلوكهم أو فعاليتهم أو توجيهها، الأمر الذي يولد خبرة الشعور بالعجز والاحباط وخيبة الأمل في متغيرات هذا السياق والقوى المسيطرة عليه.

❖ اللامعنى : (Meaninglessness)

اللامعنى أو فقدان المعنى هو "توقع الفرد أنه لا يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك، فالفرد يغترب عندما لا يكون واضحا لديه ما يجب عليه أن يؤمن به أو يثق فيه ولذلك يرى الإنسان المغترب أن الحياة لا معنى لها لأنها تسير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول ومن ثمَّ يعيش حياة التفاهة واللامبالاة"¹.

وزهد (موريخ) (Morikh) في تحليله لمفهوم الاغتراب إلى القول بأن: " اللامعنى يوجد حينما يكون الفرد غير واضح بالنسبة لما يجب أن يعتقد فيه وحينما تكون المستويات الدنيا المطلوبة من الوضوح في اتخاذ القرارات غير متوفرة"².

❖ اللامعيارية : (Normlessness)

أخذ (سيمان) اللامعيارية من وصف (دوركاييم) (Durkheim) لحالة الأنومي التي تصيب المجتمع، وهي حالة انهيار التي تنظم السلوك ، وتوجهه وقد ظهر مصطلح الأنومي في اللغة الانجليزية في عام 1951 م تقريبا.

اللامعيارية كما عرفها (سيمان) هي " الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أن أشكال السلوك التي أصبحت اجتماعيا مقبولة تجاه أية أهداف محددة، أي أن الأشياء لم يعد لها أي ضوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صوابا وما كان صوابا أصبح ينظر إليه

1 - يحي الجبوري، الحنين و الغربة في الشعر العربي، ص18.

2 - عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص37.

باعتباره خطأ من منطلق إضفاء صبغة الشرعية على المصلحة الذاتية للفرد وحجبها عن المعايير وقواعد وقوانين المجتمع¹.

❖ العزلة الاجتماعية : (social Isolement)

ويقصد بها " شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي، والافتقاد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمية والبعد عن الآخرين، حتى وإن وجد بينهم كما قد يصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع والانفصال بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعاييره².

والاغتراب هو : "وصف وتحليل دور الفكر أو المثقف الذي يغلب عليه الشعور بالتجرد وعدم الاندماج النفسي والفكري بالمعايير الشعبية في المجتمع، وهؤلاء الذين يحيون حياة عزلة واغتراب لا يرون قيمة الكثير من الأهداف والمفاهيم التي يثمنها أفراد المجتمع"³ ويقصد به شعور الفرد بالوحدة وعدم الاندماج في مجتمعه الذي يعيش فيه.

❖ اللاهدف : (Amlessness)

"ويرتبط اللاهدف ارتباطا وثيقا باللامعنى، ويقصد به شعور المرء بأن حياته تمضي دون وجود هدف أو غاية واضحة ومن ثم يفقد الهدف من وجوده ومن عمله ونشاطه وفق معنى الاستمرار في الحياة"⁴.

❖ الاغتراب عن الذات : (Self-estrongement)

وقد عرفه (سيمان) بأنه : "عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه وشعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياة الفرد بلا هدف ويحيا لكونه

1 - أحمد النكلاوي، الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر، ص 105 .

2 - عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص39.

3 - يحي الجبوري، الحنين و الغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، ص19.

4 - عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص42.

مستجيبا لما تقدم له الحياة دون تحقيق ما يريد من أهداف وعدم القدرة على إيجاد الأنشطة المكافئة ذاتيا¹.

أي أن الفرد يعيش بمعزل عن الجماعة يستجيب لكل ما تفرضه عليه دون إحداث أي تغيير ويكون سلبيا لكل ما يحدث حوله، أي عدم الثقة في النفس وغياب إحساس الفرد بالتماسك والهوية .

والاغتراب عن الذات "باعتباره اضطرابا نفسيا يتمثل في اضطراب الشخصية الفصامية، ويتسم الشخص الفصامي بالعجز عن إقامة علاقات اجتماعية، والافتقار إلى مشاعر الدفء واللين أو الرقة مع الآخرين فهناك تشابه بين اغتراب الذات واضطراب الشخصية الفصامية في أنهما يشيران إلى صعوبة استمرارية العلاقات الاجتماعية مع الآخرين من أفراد المجتمع"² .

❖ التمرد: (Rebellionness)

"ويقصد به شعور الفرد بالبعد عن الواقع ومحاولاته الخروج عن المألوف والشائع وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة والرفض والكرهية والعداء لكل ما يحيط بالفرد من فهم ومعايير وقد يكون التمرد على النفس أو على المجتمع بما يحويه من أنظمة ومؤسسات أو على موضوعات وقضايا أخرى"³ . يعني أن التمرد رفض الفرد للأعراف والتقاليد الموجودة في المجتمع، وكرهه لها فيتمرد عليها، مما يؤدي به إلى ممارسة العنف في شكل سلوك عدواني سلبي.

1 - المرجع نفسه ، ص40.

2 - يحي الجبوري، الحنين و الغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، ص 20.

3 - علاء زهير وأسماء ربحي، أسباب ومظاهر الاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة كلية التربية، بور سعيد مصر، العدد6، يونيو 2009، ص62.

2- أسباب الاغتراب :

الاغتراب واحد من المصطلحات التي تعرضت لوجهات النظر المختلفة، إذ أن أسبابه ومظاهره تعددت واختلفت منها النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وهو حصيلة تفاعل العديد من الأسباب نذكر منها:

❖ الأسباب النفسية :

هناك العديد من العوامل النفسية المؤثرة في حياة الفرد ونفسه والتي تؤدي به إلى الاغتراب تتمثل في ما يلي:

• الصراع :

من أهم الصراعات التي تتضح في حالة الاغتراب: " الصراع بين الدوافع والضوابط (الرغبات)، والصراع بين المعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية، والصراع بين الحاجات الشخصية والواقع، وصراع القيم والأدوار الاجتماعية والمهنية، والصراع الثقافي بين الأجيال والصراع على السلطة إضافة إلى صراع الأدوار وتعتبر هذه الصراعات من الأسباب التي تؤدي إلى التوتر الانفعالي والقلق واضطراب في الشخصية"¹.

• الحرمان :

هو فقدان الفرصة لتحقيق الدوافع وإشباع الحاجات كما في حالة الحرمان من الرعاية الأبوية والاجتماعية وعدم اشبع الحاجات الأساسية الحيوية والنفسية والاجتماعية.

• الاحباط :

يرتبط الاحباط بالشعور بخيبة الأمل والخسارة ، والفشل والتأخر، والشعور بالعجز التام ، واستحالة تحقيق مستوى الطموح والشعور بالقهر وتحقيق الذات. حيث تعاقب

1 - دنيال علي عباس، الاغتراب النفسي و علاقته بالتحصيل الدراسي، دراسة مقارنة، ماجستير علم النفس التربوي، قسم علم النفس، جامعة دمشق، 2015-2016، ص 41 .

الرغبات الأساسية أو الحوافز أو المصالح الخاصة بالفرد أو يصبح تحقيق هذه الرغبات أمرا مستحيلا.

• الخبرات الصادمة :

"هي الخبرات التي تحرك العوامل الأخرى المسببة للاغتراب والخبرات الصادمة الأليمة ومن أخطرها الأزمات الاقتصادية والحروب"¹.

من خلال ما سبق يعتبر الاغتراب ينبع من ذات الشخص ومن داخله وتشكلات ذاته في كثير من الأحيان .

❖ أسباب اجتماعية واقتصادية :

ومن بين الأسباب الاجتماعية :

• **ضغوط البيئة الاجتماعية :** تتمثل في الفشل في مواجهة هذه الضغوط وعدم التحكم بها.

• **التطور الحضاري:** "هو التغيير الاجتماعي وفق معطيات الحضارة الجديدة، وعدم توافر القدرة النفسية على التوافق معه ومع متطلبات الحياة الصناعية المعقدة والمتغيرة، يضاف إلى ذلك تعقيد القوانين وزيادة المسؤوليات الاجتماعية"².

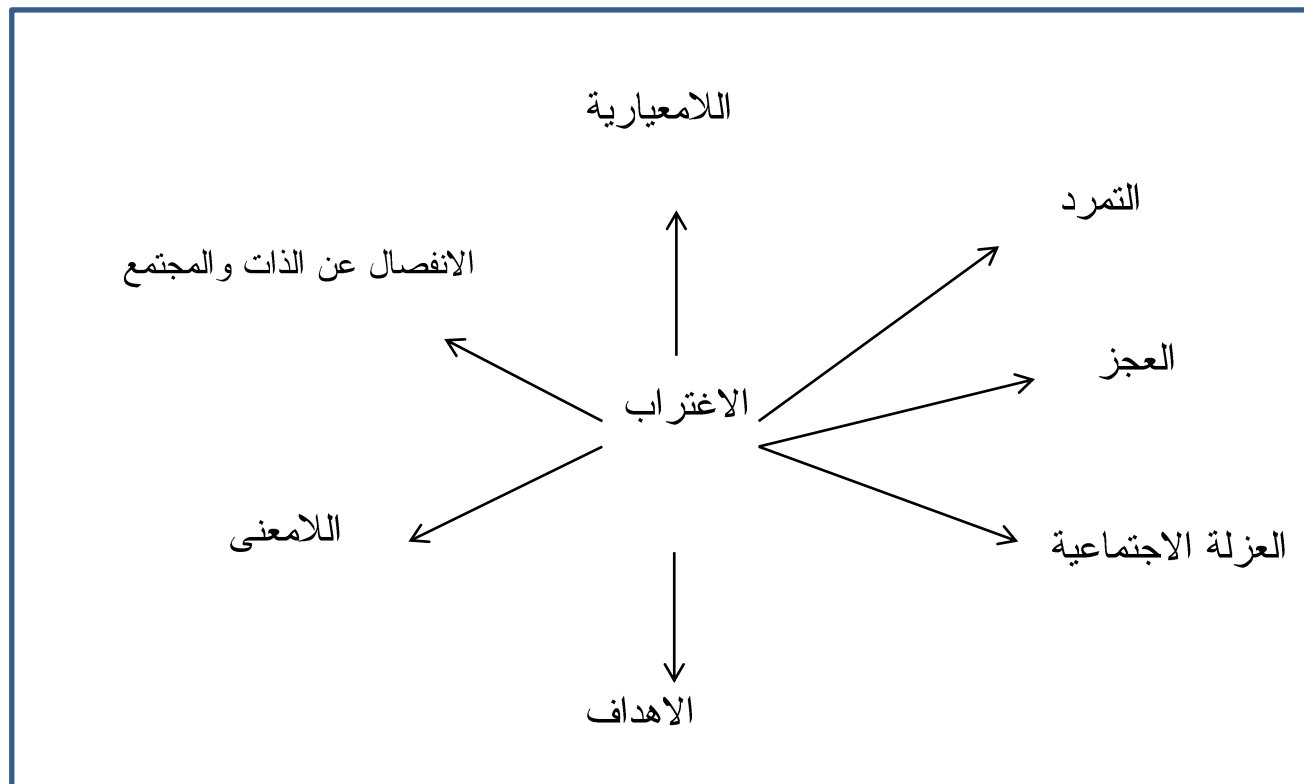
• **المشكلات الاجتماعية:** "هي نقص التفاعل الاجتماعي الموجود عند الأقليات والاتجاهات الاجتماعية السالبة والمعاناة في خطر التعصب والشعور بالنقص وانعدام الأمن"³.

1 - المرجع نفسه.

2 - المرجع نفسه .

3 - المرجع نفسه ، ص 42 .

كل هذه الأسباب تسهم في خلق الاغتراب لدى الفرد داخل مجتمعه، و في الأخير يمكن تلخيص مظاهر الاغتراب رفي المخطط الآتي:



مخطط توضيحي (1): يوضح مظاهر الاغتراب

من خلال المخطط يتبين أن البحوث المتعلقة بمفهوم الاغتراب وظهوره كموضوع يكشف عن تنوع استعماله وتعدد مظاهره، فالاغتراب من الظواهر التي اكتسحت المجتمع وتفتت في مختلف النواحي، كما أن الاغتراب يظهر بأنواع مختلفة ومتعددة منها ما سندرس منه في الجانب التطبيقي كالاغتراب الديني، والاغتراب الذاتي والاجتماعي، والاغتراب العاطفي، والاغتراب المكاني والزمني.

رابعاً- تجليات الاغتراب في الأدب :

1- الاغتراب في الشعر العربي :

الاغتراب ليس مصطلحاً حديث الظهور إذ وجد منذ الأزل، والإنسان العربي عبر عن أحاسيسه وغربته، وتيهه وكل خلجاته بالشعر، نجد امرؤ القيس بعد أن عاش وحيداً بوفاة والده دون معين يقول:

« أجارتنا إن الخطوب تنوب ... وإني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان هاهنا ... وكل غريب للغريب نسيب

فإن تصلينا، فالقربة بيننا ... وانتصر مينا فالقريب غريب

أجارتنا ما فات ليس يؤوب ... وما هو آت في الزمان قريب

وليس غريباً من تناعت دياره ... ولكن من وارى التراب غريب»¹

امرؤ القيس يرى أن الغريب ليس من ابتعد عن الوطن ، ولكن الغريب هو الذي تخلى عن القريب، وأن من يدفن تحت التراب أصبح غريباً؛ أي أن الميت غريب . وفي موضع آخر يقول الشنفرى:

« أقيموا بني أُمي صدور مطيكم ... فإنني إلى قوم سواكم لأميل»².

التصميم والعزم واضح لدى الشنفرى بالرحيل واعتزال قومه، لما رآه من ظلم وجور هذا يدل على اعتزازه بنفسه، وإن دل هذا فهو يدل على شعور الشنفرى بالاغتراب .

كما نجد بشار بن برد الذي طالت معاناته بين وسطه الاجتماعي، كونه فارس أصيل ومن جهة أخرى التشكيك في دينه إذ يقول :

«إذا كنت في كل الأمور معاتباً ... صديقك لمتلقى الذات عاتبه

فعش واحداً أوصل أخاك فإنه ... مقار فذنب تارة ومجانبة»³.

1- امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، ضبطه وصححه، مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، دط، دت ، ص49.

2- الشنفرى ، لامية العرب، شرح ودراسة عبد الحليم حفني، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ط1، 2008، ص8.

3- كميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب، أبو العلاء المعري، دار المطبوعات الجامعية، المملكة العربية السعودية، د ط، 2008، ص41.

نجد وصفا واضحا للاغتراب في البيت الأخير، لوقوع الشاعر في الشقى، والحزن، والكدر، والطريق الصعب الموحش.

3- الاغتراب في الرواية العربية والجزائرية :

الاغتراب شعور إنساني تعمق في النفس البشرية وتغلغل بالأمّة وآهاته وأحلامه فكان الابداع الأدبي ملاذاً له وملجأ للعديد من الأدباء العرب الذين عبروا عنها من خلال تجاربهم الشخصية، فبعد أن كان الاغتراب ظاهرة إنسانية أصبح في الرواية ظاهرة فنية يختلف باختلاف الرؤية التي ينطلق منها كل أديب.

وإن عدنا إلى النصوص الروائية العربية نجد أن ظاهرة الاغتراب متجذرة في البنيات الداخلية للرواية العربية سواء أكان هذا الاغتراب نفسياً أو اجتماعياً أو مكانياً أو أي نوع من الاغتراب الذي يعاني منه الإنسان العربي .

من أبرز من مثّل هذه الظاهرة من الروائيين العرب نجد الروائي (الطيب صالح) في رواية موسم الهجرة إلى الشمال التي " تمثل رواية التمرد الفردي في محاولة يائسة للتغلب على حالة الاغتراب والنفي ، وبعد ذلك صنفناها على أنها رواية العودة إلى الماضي " ¹.

كما نذكر بعض الروايات التي صنفنا تحت اسم رواية الغربة والمنفى، " مثل رواية ثرثرة فوق النيل لنجيب محفوظ ، اختارت شخصياتها العزلة عن المجتمع إنما من دون هجرة خارج الوطن. إنما هجرة في الداخل وغربة عن الذات والوطن، أما في رواية السفينة لجبرا إبراهيم، فقد خبرت شخصياتها نقياً طوعياً خارج البلد بعيداً عن الضغوط اليومية " ².

1 - حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية (مناهات الإنسان بين الحلم و الواقع)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان ، ط1، 2006، ص150.

2- المرجع نفسه ، ص146.

ومن ما سبق نلاحظ أنّ الاغتراب كان موضوع بارزاً في النصوص الروائية العربية.

ويعد الاغتراب ظاهرة بارزة لها حضورها الواضح في أدبنا العربي الحديث عامة، وفي الرواية خاصة، بحيث أصبحت الرواية العربية لا تخلو من تيمة الغربة سواء كانت غربة نفسية أو غربة مكانية، أو حاوية لسمات كليهما.

ونخص بالذكر الرواية الجزائرية التي درست معظم موضوعاتها التصدع والانكفاء السلبي الذي يعيشه المجتمع والفرد، حيث وجدت الاغتراب مصطلح يترجم شعور وأفكار عميقة ناجمة عن التجارب المؤلمة والظروف الصعبة والاحباط وخيبات الأمل، والتشتت وعدم الشعور بالانتماء، وعدم القدرة عن تحقيق الذات والعزلة، فظاهرة الاغتراب تجسدت في رواية (كريما توريوم) للروائي واسيني الأعرج التي صدرت عام 2008م، والتي تضمن محتواها الغربة والاغتراب والبحث عن الهوية في الرواية¹.

و يظهر الاغتراب في الرواية الجزائرية (الدروب الشاقة) لميلود فرعون، حيث نجد صور الاغتراب عند شخصية البطل بوجوه متعددة حصرت في ثلاثة أشكال هي: الاغتراب الذاتي عند البطل، اغتراب البطل عن المجتمع، واغتراب البطل عن الوطن . فقد جسد الكاتب في هاته الرواية حالة الاغتراب التي عاشها الفرد الجزائري بمختلف أنواعه².

ومن ذلك كله الاغتراب من المفاهيم التي شغلت حيزا واسعا وبارزا في الفلسفة، تزايد هذا الاهتمام بمفهومه والتركيز عنه حديثا باعتباره جزءا واضحا يخرج من إنسانية الفرد له انعكاساته على حياته.

1- ينظر واسيني الأعرج، رواية كريما توريوم، سوناتا لأشباح القدس، منشورات الفضاء الحر، الجزائر، ط1، 2008، ص 164.

2- ينظر حسن عليان، البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الحرب العالمية الأولى حتى 1973م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان الأردن ، ط1، 2001 ، ص103 .

الفصل الأول:

مظاهر الاغتراب في رواية الملحد: (الديني، الذاتي و الاجتماعي)

أولاً: الاغتراب الديني

1- الاغتراب وتجلياته في العتبة النصية في رواية الملحد.

2- الاغتراب عن المعتقدات والقيم الدينية.

ثانياً: الاغتراب الذاتي والاجتماعي

1- الاغتراب الذاتي.

2- الاغتراب الاجتماعي .

أولاً: الاغتراب الديني

الاغتراب الديني من الأنواع البارزة التي يعيشها الإنسان على وجه العموم، وهي ظاهرة من القدم إلى الحداثة ويعاني منها معظم شبابنا الآن بالرغم من التطور الملحوظ، وذلك من خلال إحساس الفرد أنّ المحيط الذي يعيش فيه لا يلبي رغباته الدينية أو لا يتماشى مع متطلباته الجسدية والفكرية، ومن هنا يشعر بعناصر الاغتراب الديني.

ونجد الاغتراب في " الأديان البارزة الكبيرة كاليهودية والمسيحية والإسلام، تتحد تقريباً على مفهوم واحد (الانفصال) للاغتراب المتمثل في: انفصال الإنسان عن الله وانفصاله على الطبيعة من المذات والشهوات وانفصال الإنسان (المؤمن) عن الإنسان (غير المؤمن)، حيث إن الاغتراب ظاهرة حتمية في الوجود الإنساني، وحياة الإنسان على الأرض ماهي إلا غربة عن وطنه السماوي " ¹.

ومن هنا يمكن القول الاغتراب الديني هو الانفصال ، والابتعاد عن الله والذات الإلهية والقيم الدينية، والوقوع في الخطيئة الدينية التي هي تتنافى مع الدين، وينتج من خلال ذلك التمرد عن مظاهر الاتصال بالله والقيم الدينية بالقول والفعل .

1- الاغتراب وتجلياته في العتبة النصية للرواية :

أ - العنوان :

العنوان هو العتبة النصية الأولى للنص، وتتجلى امتداداته وإشارات من خلال سيميولوجية السردية في الرواية وهو العلم الخاص بالعلامات التي تشير إلى أشياء أخرى، حيث يحيل إلى أشياء قد يقصدها الروائي أو يستشفها الناقد في أثناء تحليله، معتمداً على عنصر الخيال، لأن العنوان ما هو إلا خبر في الفضاء وذلك أن الفضاء المرسوم على صفحات الرواية هو فضاء تخيلي ² .

1- جميل حمداوي، مقاربة العنوان في النص الأدبي، www.alkalimah.net، 2023/5/4، 9:20

2- ينظر: اسكندر نبيل، رمزي، الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية مصر، ط1، 1988، ص46 .

فالعنوان إذا " يشكل الجسر الذي يربط القارئ بالنص لذلك من الاهتمام بصياغته وبإخراجه في صورة جمالية تساهم في تسويق المعرفة والتشويق وجذب اهتمامه وتركيز بأهمية ما يلقاه"¹ .

ومنه يعتبر العنوان ملخص الرواية المتناولة والمدرسة فيوحي للقارئ محتوى الرواية وما يتعلق بمتنها، ويمد ومضة عن الرواية في غالب الأحيان، ورواية "الملحد" لعبد الرشيد هميسي مكونة من لفظة واحدة وهي اسم (الملحد)؛ الذي يطلق على من لا دين ولا ملة له في مُعترفاتنا .

ويتبع العنوان الرئيس "الملحد" عنوان فرعي "بقي بن يقظان" تناص مع قصة "حي بن يقظان" لابن طفيل، بحيث أن الرواية والقصة المشهورة متقاطعتين في التيه والعيش في أماكن معزولة .

يعيش حي بن يقظان في جزيرة منقطعة عن العالم (الأدغال)، وبقي بن يقظان في (الصحراء)، إذ أن كلاهما يتأملان في وحدانية الله في خلق الكون، والعنوان الفرعي "بقي" اسم جذوره دينية، مرتبطة ببقاء الله ووحدانيته.

ب- الصورة :

تعتبر الصورة واجهة الغلاف العتبة النصية الأولى التي تواجه المتلقي، إذ تعد الصورة جزء من الغلاف، ويمكن أن نفهم من خلال الصورة الدلالة الحقيقة أو المجازي للرواية، إذ تعتبر كنوع من أنواع الاستباق كونها إيحاءً رمزيًا، وتمهيداً لمحتوى النص، يعطي الرواية أبعاداً دلالية، فهي (الصورة) عبارة عن نص بجمل مجموعة من الدلالات التي تسهم في فك رمزية النص وتفسيره "إنما هي نص ككل النصوص تحدد باعتبارها تنظيماً خاصاً لوحدات دلالية متجلية من خلال أشكال وسلوكات"² .

1 - فاطمة الزهراء بايزيد، التشكيل الجمالي لصورة الغلاف و العنوان (دراسة سيميائية)، قسم اللغة العربية و الأدب العربي، كلية اللغات جامعة محمد خيضر، بسكرة، دط، ص 141 .

2- قدور عبد الله الثاني، سيميائية الصور، مؤسسة الوراق والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2007، ص23.

ومنه من خلال ما سبق، فالصورة هي المجلد المفصل للرواية والعنوان تترك انطبعا لدى المتلقي وتعطي إحياءات له، فالصورة ليست مجرد شكل أو مزيج من الألوان ولم توضع عبثاً.

أما فيما يخص أيقونة الصورة في الرواية المدروسة، تتمثل في رجل صغير الحجم في الظل كأنه في صحراء شاسعة يشاهده المتلقي من بعيد تلاحظ فيه الاغتراب والضياع والتهيان . مساحة الرجل بالنسبة للغلاف تحتل جزءاً صغيراً بالنسبة لليد الممتدة ونلاحظ أن اليد كبيرة الحجم كأنه يقول للقارئ والمتلقي، هي يد النجاة أو يد ممتدة من الأعلى للرجل وهنا اليد هي إرادة الله سبحانه وتعالى التي توجهه .

كما تشكل الألوان جزءاً من الصورة مكملاً وموضحاً لها. ولألوان دلالات واتجاهات متعددة، "استخدام الألوان في السياقات الأدبية واللغوية أكثر صعوبة من استخدامه في الرسم والتصوير، لأنه يعتمد على قدرة المبدع في إثارة ما توحى به الألوان من دلالات في نفس السامع من خلال التشكيل اللغوي يصور أفكار الأديب وانفعالاته".¹

من خلال التعريف، فالألوان لم توضع عشوائياً، بل هي تلعب دوراً فعالاً في التعبير عن الأفكار التي تتبادر في ذهن المؤلف والتي تنعكس على مضمون الرواية ويتم ذلك بطريقة فنية وجمالية دقيقة، وكذلك جذب القارئ للرواية.

اعتمد مؤلف الرواية على ثلاثة ألوان بارزة في الصورة، تمثلت في: (اللون الأصفر البني، الأسود والأحمر)، ولكل لون دلالة خاصة به عبرت عن رؤية من رأى الكاتب التي ترتبط بهذه الأخيرة..

احتل اللون الأصفر الذي يميل إلى البني الحيز الأكبر من بين الثلاثة، فاعتمده المؤلف اللون الممتد على وجهي الغلاف؛ حيث يعتبر اللون الأصفر من الألوان الجميلة الموجودة في الطبيعة وهو من الألوان المذكورة في القرآن الكريم لشدة جماليته في قوله

1 - ابتسام مرهون، جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم، علم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2010، ص66.

تعالى ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾¹، واعتمد المؤلف هذا اللون بالتحديد وجعله الملك بين ألوانه الثلاثة لرمزه إلى الصفات التالية : الشمس، الخديعة، الغش، المرض، الابتسامة المتكلفة غير الحقيقية، وللوجه المناقض للسعادة، الحزن، الهم، الذبول، وكذلك العناء.

وأيضاً يبعث عن الطاقة، ويعبر عن التفاؤل، فهو لون الإبداع والانطلاق إلى الحياة، إنه لون الفكر والتفكير دلالة على الصحراء التي انعزل فيها، وهي صحراء حاسي خليفة، الفضاء الذي منحه فرصة التأمل والتفكير العميق، حيث عادة ما يفضلها الأشخاص الذين يغامرون في أسلوب تفكيرهم، وهذا ما نجده في متن الرواية من خلال تفكير البطل وتأملاته في الحياة للوصول إلى الخلاص، يقول فيه الكاتب كلود: "قوي، عنيف، حاد إلى درجة تمكنه أن يكون ثاقباً، أو رحباً وباهراً كتدفق معدن في حالة الذوبان، الأصفر، هو الأكثر دفئاً، الأكثر بوحاً، والأكثر تأججاً اتقاداً من بين الألوان، يصعب إخماده أو تخفيفه، يتجاوز دائماً الطرق الذي يتوخى احتواءه، تخرق أشعة الشمس زرقة السماء".²

أما اللون البني فهو لون التربة والرمال، الذي يدل على العودة إلى الأصل والصفاء والبدايات الأولى . وهي ترمز لحياة آدم (عليه السلام) البدائية، فبقي بن يقظان رجع إلى الحياة البدائية ببيئة وبيت الطبيعة التي اكتشفها واستطاع أن يتعايش معها ويعيش منها .

وجود اللون الأسود الدال على السيطرة، الغموض، الموت، الهروب من الواقع والتستر على أفعاله الرذيلة والمتمثلة أبرزها في جريمة القتل التي قام بها.

1- سورة البقرة، الآية 63.

2 - كلود عبيد، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزياتها، ودلالاتها)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2013، ص107.

كما أنه لون يعبر عن نهاية مرحلة وبداية أخرى جديدة، مثل ما حدث مع بطل الرواية في نهاية عيشته القاتمة السوداء المليئة بالذنوب والمعاصي إلى بداية جديدة منيرة بالتوبة والإيمان بدين الإسلام، وهو القمر الذي أنار به المؤلف صورة اليد المظلمة . ورغم الصفات السيئة الكثيرة لهذا اللون، إلا أنه يعتبر لون الحياة، فهو لون التربة الغرينية في مصر، وهي تربة خصبة تعتبر مصدر النمو والحياة، وهو ما يرتبط به اللون الأصفر.

يأخذ اللون الأحمر في كثير من الأحيان دلالة الدم أي العنف، الغضب، الظلم، الاستبداد، القتل والموت. إلا أن له جانب آخر متمثل في الإثارة، الفتنة، الإغراء والجمال فهو لون الخجل والحياء وهذا لما يحمله اللون الأحمر من تناقضات.

"قد أظهرت دراسات كندية، أن اللون الأحمر يثير الانتباه خصوصا في المهام المرتبطة بالذاكرة، (..) كما أن اللون الأحمر يحسن الأداء واليقظة لدى انجاز مهام تستدعي الانتباه، وذلك لارتباطه في الذهن بإشارات المرور الضوئية وحالات الطوارئ والخطر".¹

حيث أثبتت أغلب الدراسات أن اللون الأحمر يمكن أن يثير مشاعر قوية مثل: العاطفة أو الحب، كما تعد قدرته على جذب الانتباه على الفور هي السبب في استخدامه غالبا للتحذير من خطر وشيك، بحث تعدى من كونه مجرد لون ليصبح أقرب إلى أن يكون سلطة فهو يأتي بالمرحلة الثانية بعد اللون الأصفر.

فهنا استخدمه المؤلف في الجزء السفلي من اليد بالصورة دالاً عن النهي والتوقف على الإقدام عن فعل شيء معين كما حدث مع بطل الرواية عندما توقف عن أفعاله وتجاوزاته.

1- كلود عبيد، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزياتها، ودلالاتها)، ص23.

وقد اعتمده المؤلف في كتابة العنوان لبيان مدى الخسارة التي يعاني منها الشباب العربي عامة، والشباب الجزائري خاصة. وأيضا لشدة الجذب، القوة، العنف، الوحشية والغضب وهي الصفات التي تملك من بطل الرواية .

2- الاغتراب عن المعتقدات والقيم الدينية :

أ- الاغتراب والديانة المسيحية:

يعد فيورباخ (Feuerbach) من رواد التنظير للاغتراب الديني إذ يرى أن الإنسان " وضع أفضل صفاته في الألوهية إلى أن أصبح الإله صورة للكمال وغدا الإنسان خاطئا يفتقد للكمال بصورة لا يرجى لها البرء فالإنسان يجرد ذاته من كل ما هو طيب وقوي ليضعه على الإله وكما جعل الإله الأعظم وجعل لنفسه أكثر ضالة"¹ فالملاحظ من مؤلفاته الجهد الكبير للوصول حقيقة ماهية الاغتراب فقد كان في تفسيره للدين واللاهوت أكثر من اللاهوتيين في حد ذاتهم، وبدر عن ذلك فهمه للاغتراب الديني وجسد فكره في مراحل تمثلت في:

❖ مرحلة أولى وهي جوهر المسيحية

❖ مرحلة ثانية وهي مرحلة جوهر الايمان

❖ مرحلة الثالثة وهي جوهر الدين

❖ مرحلة الرابعة النيوجونيا

تمثلت المرحلة الأولى في أول ابداعاته كتاب " تأملات حول الموت والخلود"، وهنا يتصور أن الله هو تجريد الإنسان من صفاته وسمات الطبيعة البشرية، ويؤكد أنه لا يوجد اختلاف بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية.²

1- يحي عبد الله، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت لبنان، دط، 2005، ص123.

2- لودفيغ فيورباخ، أصل الدين، دراسة و ترجمة د. أحمد عبد الحليم عطية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية مصر، ط1، 2011، ص23.

وفي مرحلة الثانية من آرائه ظهرت وتبلورت في كتاب " الإيمان لدى ماتن لوثر"، وهي انتقال من جوهر المسيحية إلى جوهر الدين . وفي المرحلة الثالثة والرابعة ركز وعمق مفهومه عن الدين .

بطل الرواية ظل مخلصاً للتعاليم والكنيسة وما يأمره به القساوسة والرهبان إلى أن اصطدم بالحقيقة والزيف الذي كان يعيشه لأنه رأى منهم ما يخالف هاته التعاليم والمبادئ وكذا رؤيته للعبث واللهو .

يتجلى الاغتراب عن المعتقدات والقيم الدينية في الرواية في قوله : " وخاصة هذا في تدنيس الدين المقدس الذي كان بالنسبة ل:(مرسيو)" الطهارة والعفاف لكنه بدأ ينصدم بالحقيقة المرة وأن هذا الدين ممزج بالخبث والرذيلة والمنكرات وأنّ خاله(الشيطان)على حق في قوله : " أرسلني معلّمِي إلى غرفة الشماسة أ جلب له شيئاً منها وقبل وصولي إليها تناهى إلى سمعي صوت صراخ مكتوم، فاقتربت من الغرفة فاذا دنيال يحتضن جورج من الخلف ويكتم صرخته بكفه القوية فلم أفهم شيئاً".¹

من خلال ما تقدّم كانت هذه العبارات التي هزت الكاتب والقارئ لأن هنا اعتداء على القيم والشرف والطفولة وما أقصاه من رذيلة وتدنيس للمكان الطاهر ومما قدمنا نجد أنه اغتراب ديني وتدنيس للمعتقد الديني ذي البرج العالي فهنا بدأ هذا البرج بالزعزعة والدمار لأنه لم يكن في مخيلته الصغيرة أنّ (دانييل) رجل الدين أي الذي ما يمثل القداسة والطهارة يفعل شيء لا يتقبله عقل صغير أو كبير .

ونجد كذلك في قوله : " فوليت الى الأرملة أسترّد ساعتِي، وعندما وصلت إلى هناك كانت العتمة تنتشر سوادها، اقتربت من البيت فإذا فيه صوتان . ولمّا اقتربت أكثر وتبيّنتُ إذا آهات مُلتدّة، وكلام بذيء، نظرتُ من تلك النافذة القديمة فإذا معلّمِي بعينيهِ المغمضتين دائخ من لذة تأنيهِ من أعماقه!"².

1- عبد الرشيد هميسي، رواية الملحد بقيّ بن يقطان، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2022، ص18.

2 - الرواية، ص20.

نلاحظ ممّا سبق اكشاف ذلك الجسد الصغير الذي كان له فكر طاهر على الكنيسة على أنّ من يبيث فيها المعتقدات النبيلة هو من يدنسها وذلك من خلال مبلغ زهيد تتبرّع بيه الكنيسة للفقراء والمساكين يستغلّون من أجل ذلك وهنا حصلت الطامة الكبرى في جسد وقلب عقل الطفل الصغير (ميرسو).

ونلاحظ هنا كذلك تدنيس المعتقد والديانة وتمثلت النتيجة من خلال قوله: "ومن الأشياء التي اتضحت لي أن مسكت دانييل لجورج من الخلف لم تكن للعبث معه أو لاستكمامه أمراً، بل لأن شهوة شبقية تلدغه من أعماقه، فطلب لها مصرفاً، فلم يجد إلاّ جورج اليتيم، الذي يكتّم كل حماقات دانييل"¹ يعني هنا استغلال اليتيم المحتاج من طرف الشماس، وهو متأكد من أنه لن يبوح بالسرّ.

وقوله في المقطع: " جورج إذن ضحية ، ضرّه يتمه وفقره وحاجته وحاجة أهله إلى عول الكنيسة، شأنه شأن تلك الأرملة ما كان يستطيع أن يكشف شيئاً، رغم أن الفعلة تكررت كثيراً، حتى أصبح دخان الحزن في عينيه الخضراوين واضحاً".² بحيث أصبح يتضح دخول الشك في قلب (ميرسو).

وقوله: " هذا الأمر دفعني الى أن أسأل معلمي وقوع رجال الدين في الخطيئة فأجابني في ثقة صمّاء: " رجال الدين لا يقعون في الخطيئة".³

ومنه زعزعة الدين ألا وهو المسيحية في قلب بطلنا وثبات الشك في عقله وقلبه وهنا الهروب من هذا الدين الذي في نظره يحطّم ويدمر الإنسان الضعيف فهذا إذن ليس بدين وإنه لاوجود لشيء اسمه (إله).

تبادر الأسئلة المتتالية والمتوالية لدى البطل والتي كانت كلّها تصبّ في واد واحد هو أن الدين (المسيحية) عبارة خزعبلات لا وجود لها.

1- الرواية، ص22.

2 - الرواية، ص22.

3 - الرواية، ص22.

ذلك من خلال عدم إجابة المعلم ألا وهو الكاهن (جوزيف) على أسئلة البطل وحتى إجاباته على بعضها لم تملأ عقل الطفل الصغير؛ بل كانت كلها تأكيداً على نظرة خاله (ديفيد)، الذي ترك دين المسيح من أزل بعيد بعد اكتشافه بأنه دين يقهر المظلوم والضعيف.

ومن بين أسئلته قوله: "أيّهما أقدم: "الآب أم الابن أم روح القدس؟"، فأجابني أن الآب هو الأقدم لأنّ الابن مولود منه، وروح القدس منبثقة عنه. فسألته: إذن كان عدماً ثم وُجداً؟ وهل يكون الإله عدماً ثم ينوجد؟. ارتبك معلّمي وصوبّ لنفسه: "الابن وُلد قبل الدهور أي أزلاً والروح القدس كذلك (...)" مسح معلّمي عرقه وسكت، وقال لي بعد برهة سأجيبك عن هذا غدا".¹

ونستنتج منه أنّ عدم إجابة المعلم عن الأسئلة التي لم يجد لها جواباً إلاّ الهروب منها والتغاضي عليها.

وفي موضع آخر أيضاً قوله في المقطع: "عُدْتُ إلى البيت مثقبا بشوك الشك، معلّمي غدا طفلاً أبلاً إزاء هذه الأسئلة الدقيقة التي خمّشت وجهه".²

وقوله: "عكفتُ أيّامنا على الكتاب المقدس أقرؤه حرفاً حرفاً، دون أن يشرّد ذهني عن أي معنى، وقافاً عن كل شيء، فخلّصتُ إلى شيء خطير".³

وقوله: "أمّا أفعاله فهي كأفعالنا، بل هي أخطأ منها أحياناً فالإله يسبُّ، ويندم، ويحزن، ويغتاظ، وينسحق، ويندهش، ويتأسّف، ويبكي، ويندب، ويرثي، وهو جاهل وضعيف، وينام، ويستيقظ، ويصقّر للذباب، ويصفق بكفيه، ويوبخ نفسه، وهو إله النقمات وهو الذي خسر المصارعة مع النبي يعقوب!"⁴.

وكلّها تصب في أنّ هذا الرّب مشكوك في أمره وأنّه لا يصلح أن يعبد أو يُقدّس!؟.

1 - الرواية، ص32،33.

2 - الرواية، ص34.

3 - الرواية، ص35.

4 - الرواية، ص35.

إلى أن نجده في أواخر الفصل الأول من الرواية يتّخذ قراراً حاسماً وذلك بحرقه للكتاب المقدس حيث يقول : " أخذتُ الكتاب المقدس وخرجتُ به من المنزل ونأيتُ به ثم أحرقتُهُ، وتدفأتُ بناره، وكنتُ أثناء ذلك أفكرُ في مهمّتين أقضيّهما قبل أن أبدأ حياتي الجديدة". وهنا القرار الأخير هو الخروج من دين المسيح وتتبع الشيطان، وهو الدخول في الإلحاد وما سار عليه خاله".¹

ب- الإلحاد والتمرد :

أما الإلحاد في الرواية كان من نصيب الفصل الثاني. والإلحاد في كل التعريفات التي تناولته هو عدم الاعتقاد والإيمان بوجود الآلهة، ويشير المصطلح إلى الاعتقاد بأن الآلهة غير موجودة، يعني أنه لا وجود بالإيمان بالله.

" الإلحاد هو مذهب فئة أنكرت وجود الله وما آمنة به، وهو الصديق الجهل كما قيل:(الإلحاد صديق الجهل)؛ وهناك ملحدون لا يعترفون بالإله لهذا الكون لأنهم لا يرونه، فهم لا يؤمنون بشيء غير محسوس!، رغم أن العقل البشري يعلم أن حواسنا قاصرة عن معرفة أو إثبات وجود كل شيء، ولذا صحّ ما قال البعض عن الإلحاد، أنه عدم العلم.. لا العلم".²

ولشرح قضية الإلحاد ومقارنته بالدين الإسلامي في بعض الأمور، نذكر من بينها النقاط التالية :

- الملحد يقيم إيمانه على عمى، بينما المسلم يقيم إيمانه على بصيرة.
- يستند الكثير من الملحدين لقانون السببية الذي يعني أن هناك سبباً من وراء كل عمل، والمسلمون يعلمون أن هذا القانون هو عدّة براهين وإثبات وجود الله.
- ذكر علماء الفلسفة أن الشيء لا يكون علّة نفسه، فلا بد من وجود علّة أولاً هو الله الخالق لكلّ هذا الوجود.

1الرواية، ص36.

2 الإلحاد.. أسبابه أنواعه ونصائح للملحد على الموقع: www.islamonline.net، 2023/5/5 الساعة 9:33h

- من المعروف أنّ اليهود ساهموا في نشر الإلحاد في القرن السابق من خلال نشر نظريات فرويد وغيرها.. مستغلّين محاربة الكنيسة للعلم واضطهادها له. "ومما قاله دعاة الشيوعية المنهارة ماركس : الدّين أفيون الشّعوب لينين: الإلحاد هو شيء طبيعي في الماركسيّة بل هو روح الماركسيّة".¹

ومنه تتضح أسباب الإلحاد المتمثلة في: "الأهواء البشرية والرغبة القاصرة". وأمّا أنواعه في "الإلحاد الإنكاري (إلحاد كامل) والإلحاد الرفض (إلحاد جزئي)".² وفي بداية الفصل الثاني نجد قوله: "كلّ يوم يمرّ، ازدادُ فيه بُعدًا عن عالمي القديم، كان يبتعد عنيّ مثل صوفة أطلققتها في مهبّ الرّيح، وهل يبقى من الصّوفة شيءٌ إن مرّ على إطلاقها عشر سنوات؟!".³

ونلاحظ هنا اغتراب نفسي وذاتي حيث أنّه ضاع من نفسه ولم يعد يعرفها بعد أن خرج من ديانته الأولى.

وفي قوله: "خالي كان مهتما بي كثيرًا وكان يأمل أن أكون ذات يوم فيلسوفا كبيرا، له نظرة جديدة وفريدة للوجود، ويملك من الأدلّة و البراهين على ذلك ما يُعجز الفلاسفة المؤمنين بوجود الخالق".⁴

يتبيّن لنا هنا قربه من الخال وهذا ليضع لنفسه مسبّات وتفسيرات لتركه الإيمان بوجود الخالق والإلحاد.

وما يدل على الاغتراب الديني نذكر بعض الشواهد التي تدلّ على الإلحاد والتمرد على الله والشرعية والأنبياء والرسل منها :

1- اسلام اون لابن: الالحاد اسبابه انواعه ونصائح للملحدin. www.islamonline.net ، 5/5/2023 الساعة h33min9

2- الإلحاد.. أسبابه أنواعه ونصائح للملحدin على الموقع: www.islamonline.net ، 5/5/2023 الساعة h33min9

3 - الرواية، ص41.

4 - الرواية، ص41.

" كُنَّا نسمي الأنبياء «الدجالين»؛ لأنهم بكذبهم على الناس يصنعون لأنفسهم قامة لا يستحقونها، وبريقا ليسوا أهلا له، وسُمِّعَة همّ خلو منها".¹

وقوله أيضا في المقطع: "أنا وسيمون كُنَّا في الطرف الآخر للحياة، كان يحلو لنا أن نعلن الله الخرافة جهراً بعد ليلة سُكْر، أو أثناء نشوة الوطء".²

وبينما هي في عنفوان عطائها الجنسي والشعور بذروة الشهوة تقول "أيّها الإله الخرافة امنعني من لذتي إن كنت موجودا".³

" وإني أذكر ما قالت له لي سيمون الشقية ذات يوم ونحن خارجان من الخمارة: «ميرسو، أنظر إليّ»، وجّهت وجهها نحو السماء وتفلت فتناثرت ثقلتها في الهواء، فضحكت بجنون، ثم قالت: «هذا الذي يستحقه الإله الخرافة»".⁴

ج- الإسلام وإعادة التوازن :

في بداية هاته المرحلة التي اسميناها مرحلة الاستقرار والتصالح مع الذات بدأ البطل في اكتشاف نفسه مع تغيير اسمه إلى (بقي)، الاسم الذي كما أشرنا سابقا مرتبط بجذور دينية إسلامية؛ يعني البقاء ويشمل ما بقي ويرمم ما يمكن ترميمه واكتشاف أن لهذا الكون مسير واحد وهو الله والتأمل الكبير في مخلوقاته، أي تفشّي الإيمان في عروق هذا الملحد. أنزل الله سبحانه وتعالى الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وليهديهم إلى الطريق الصحيح والابتعاد عما يغضب الله ونيل مرضاته.

لغة يقصد به : الانقياد والطاعة والاستسلام، وقد وردت كلمة الإسلام والمسلمين في القرآن الكريم في آيات كثيرة على لسان يوسف عليه السلام، وعلى لسان الحواريين،

1- الرواية، ص42.

2- الرواية، ص43.

3- الرواية، ص43

4- الرواية، ص44.

وتأتي كلمة الاسلام لغة لتعني إخلاص العبادة لله تعالى، قال تعالى: "وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور".¹

اصطلاحاً : " فهو اسم علم يدل على الدين الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد-صل الله على وسلم- ليكون خاتماً للأديان والشرائع السماوية ومهيمننا عليها، وقد سمي أتباع هذا الدين بالمسلمين، ولا يقبل الله إيمان امرئ دون أن يؤمن بهذا الدين".²

وبنفس الوضعية السابقة المتمثلة في طرح البطل أسئلة تعجيزية عن رهبان الكنيسة سابقا، أعاد البطل الأسئلة مرة أخرى على معلّم القرآن (سي لمين)، مهدّت له اكتشاف الثبات الديني، التي كانت إجاباتها من العيار الثقيل من بدوي لا يفقه شيء في منظوره عكس ما تلقاه من إجابات من طرف الكاهن. في قوله: " سألته متجاهلاً: «ما الذي كنت تلقنه الصبية؟» فردّ « القرآن».

فقلت: « وما هو؟ » فقال: « هو كلام الله المعجّز، فيه النور والهداية وهو عناية الله بنا إذ فيه طريق سعادتنا، وسرّ وجودنا وسرّ البداية والنهاية»، لم أتوقع من هذا الرجل البدوي مثل هذا الكلام الثقيل".³

جاء أيضا في موضع آخر من الأسئلة المتتالية القصد منها إقناع ذات البطل أنه لاوجود للإله الخرافة في قوله: " لمّا استوينا جالسين، طلبتُ منه أن يحدثني عن إلهه، ولقد كنتُ أنوي أن أتتبع سقطات كلامه فأجعلها مداخل لتفنيد مفهوم الإله الخرافة، أو أستطيع من خلالها أن أدخل له الشكّ في يقينيّاته، فأبعثرها وأبددها كما يبدهدّ الريح السحاب ولكنه لم يجب طلبي، وسكت فشعرتُ أنّ نيّتي تكشّفت لم ثمّ طلب منّي قائلا: « إلهي جليّ حدثني أنت عن إلهك»".⁴

1- معنى الاسلام، موضوع، طلال مشعل موقع mawdoo3.com، :، 9 يونيو 2022. آخر تحديث 14:10.

2 - المرجع نفسه.

3- الرواية، ص75، 76.

4- الرواية، ص79.

والملاحظ من هاته الشواهد بداية دخول الإيمان إلى قلب البطل أو بالأحرى تضائل فكرة الإلحاد بالدليل والبراهين المقنعة، ومن بين الوصول إلى الهداية للإيمان التأمل والانعزال مع النفس بعد إجابات (سي لمين) التي ملأت قلبه وعقله في قوله: "أثناء الطريق، وأثناء الغداء، وفي العشية كلها، كنت أَلْبُّ ما قاله ذلك الرجل البدوي، وأعرضه عن المنطق، وأعيد عرضه كلما عنت لي شبهة، فلم أفلح في العثور على شيء يمكنني من دفع كلامه عني، كنت أتخيل أن كلامه تحول إلى رجل يقف قبالي بعينين مفتوحتين وكلما تحولت عنه إلى جهة، تحول حيث ما تحولت، ودار حيث ما دُرت، حتى أرقني ما سمعتُ منه فقررتُ ألا أجالسه مرةً أخرى حتى لا يفسد عليّ مزاجي".¹

في الصحراء وأثناء التيه الذي عاش فيه، ومن خلال التأمل في عظمة الله في خلق مخلوقاته، التي تتأقلم والعيش مع هذه الطبيعة القاسية والصعبة، حين قال "ابتعد حتى أصبح نقطة رمادية تتحرك ببطء ثم امّحت، بقدر ما أعجبنى لونه الرمادي بقدر ما حير في سؤال فأسئلة: لما كان لونه رمادي؟ أجبت: لكي لا يكون وضاحا لمفترسيه، فاللون الرمادي قريب من لون الصحراء، ولما بقيت الهوام والزواحف ألوانها ليست وضاحة؟! العقب أصفر، والبنّي البارد؟! أجبت: لكي لا ترى حين تصطاد أو تُصطاد".²

وكانت إجاباته لنفسه في كل مرة تؤكد له وجود خالق واحد لا شريك له وهو الله سبحانه وتعالى.

من خلال المقطع: "ثم قلت: من الذي صبغها بهذه الألوان لكي يناسب لونها صحراءها؟! الصدف؟ لم لم تلونهم الصدفة بالأحمر مثلا؟ لا بد هناك قوة حكيمة وراء هذا"³

وفي الأخير، نجد البطل في كل مرة يجد إجابة تجعله يتقرب من اليقين بالتصديق الجازم بوجدانية الله والإيمان به. في المقطع: "بعد، شهور من ذلك، ها أنا في باريس،

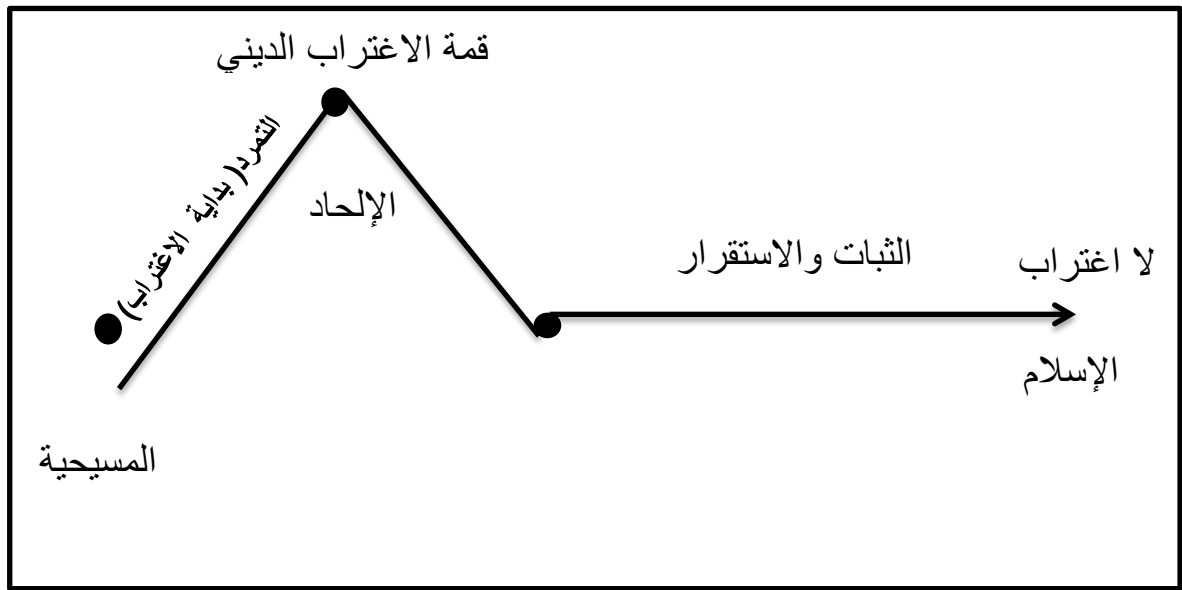
1 - الرواية، ص82.

2 - الرواية ص118.

3 - الرواية، ص18.

أنفق ما تبقى لي من عمر فيها، مثقل بذاكرة ذاقت كل شيء، بدأت أجرب وجوداً جديداً؛ لقد أخرجت الأشياء القديمة مني وأعدت ترتيبها من جديد، الله مركز كل شيء في حياتي الجديدة، بدأت أشعر بالأنس الذي لم أذقه قرابة الأربعين سنة، لذلك كنت أشعر أن الله يحلو لي كل يوم أكثر. كان يتعاضم في قلبي حتى كأنه لم يبقى مكان لأحد سواه".¹

نستنتج من الاغتراب الديني الذي مرّ بنا في الرواية والمتمثل في التمرد من المسيحية إلى التمرد عليها حتى الوصول إلى الإلحاد وقمة العبث والمجون إلى الثبات و الاستقرار في الصحراء الذي جعله يؤمن بوحدانية الله واعتناق الإسلام. والمخطط الآتي يوضح مراحل تطور الاغتراب وتحوله بتغير ديانة البطل.



مخطط توضيحي (2): مراحل تطور الاغتراب الديني

ثانيا: الاغراب الذاتي والاجتماعي :

1-الاغتراب الذاتي :

يشعر الإنسان بالوحدة والغربة، والضياع ويعجز على التواصل مع نفسه وعن ماهيتها فالاغتراب الذاتي هو " الحالة التي يصبح فيها الشخص ببساطة، غير مدرك لما يشعر به حقيقة ويحبه ويرفضه ويعتقده ولما يكونه في الواقع".¹

فالاغتراب هنا يخص الذات أو النفس المغتربة، فغربة الذات كما يراها قيس النوري: " هي أن الاغتراب عن الذات ينطوي على شعور الفرد بانفصاله عن ذاته، وهو نمط من التجربة يرى الفرد فيها نفسه كما لو كانت غريبة عنه".²

فالاغتراب حالة نفسية في الذات الإنسانية ، ويصبح الفرد عاجزا عن التواصل مع نفسه، وهو "شعور بالعزلة والتهميش والرفض والعجز عن أداء مهامه وسلوكاته بشكل عادي".³

وفي روايتنا نجد الاغتراب عن الذات في المثال الأتي : "عشتُ ما يقارب الأربعين سنة من المتاهات وهي تكفي لان تخلق مني إنساناً ضائع اليقين، له غربتان، غربة بينه وبين الناس، وغربة بينه وبين نفسه، كنت تماما كحجر مرمي في سديم لا ينتهي".⁴

فالشخصية المغتربة تشعر بالعجز وعدم القدرة على المواجهة، فتخضع وتبقى ثابتة لا تحرك ساكنا ونجدها في المقطع: "ولكنني بيني وبين نفسي كنتُ مصدوماً مما رأيت وسمعت، لان معلمي كان قدوتي الأول كنت أراه ملاكاً بلبوس بشر، ليس للخطيئة سلطان عليه".⁵

1 - يحيى العبد الله: الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات للطاهرين جلول، ص170.

2- عفاف محمد عبد المنعم: الاغتراب النفسي ومظاهره والنظريات المفسرة، دراسة تطبيقية، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الأسكندرية مصر، ط1، 2008، ص37.

3- ينظر: جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد8، جامعة حمه لخضر، الوادي

الجزائر، 2012، ص349.

4- الرواية، ص10.

5 - الرواية، ص20.

وأيضاً : " كانوا يظنونها نوبة مرض ولّت، و ياليتها كانت كذلك، حاولت أن أتصالح مع نفسي كي أعود كما كنت ولكنني لم أنجح في ذلك ولم أفشل أيضاً ؛ فأحياناً أشعر أنني عدت كسابق عهدي، وأحياناً أخرى أشعر بأركاني الصغيرة تهتز من ذلك الزلزال"¹، فالاغتراب الذاتي هنا أنه كان يشعر بالعجز والخوف من البوح بما شاهده في الكنيسة وما كان يفعله معلمه بالأرملة ودانييل بصديقه جورج ولم يستطيع مواجهته بالذي رآه وهو إذن قلة استقراره، واضطربت نفسه وبقي جامداً، لم يحرك ساكناً.

ويمكن أن نحدد اغتراب الشخصية الذاتي من خلال توفر عدة خصائص منها :
(التمرد، اللامعنى، اللاهدف الاغتراب النفسي والعاطفي وعن الشخصيات والمجتمع)
وسنحاول شرحها في الآتي:

❖ التمرد :

وهو محاولة الفرد الخروج عن المألوف، وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة، وهو شعور الفرد بالبعد عن الواقع، والبطل في الرواية كان متمرداً وخاصة في مرحلة الإلحاد وهذا أنه خرج من المسيحية إلى اللادين و يقول معترفاً " فقلت له: الذي ستسمعه مني يبقى سراً؟ فقال نعم يبقى، فقلت له: أنا ملحد، كافر... لا إله لي"²، وفي مثال آخر يقول : "لأنني لا أوّمن بوجود الله الذي سيحدثني عنه"³.

وهنا صرح بأنه ملحد ومتمرد على الدين، فالتمرد هو رفض كل الأعراف والتقاليد الموجودة في المجتمع، وهو الشعور بالاستياء ويتصف بالعداء ونجد هذا في "كتبتُ مقالاً وأفهمت قرّائي كيف يتمردون على الوجود، وإنّ تمرّدهم هو الذي يحقق لهم إنسانيتهم السّامية، وأخبرتهم أن تخليهم عن تمرّدهم هو تخليهم عن إنسانيتهم، لا بدّ أن نقاوم الوجود المجنون، ونظل ثابتين على تمرّدنا، لأننا من دونه لن نكون شيئاً"⁴.

1 -الرواية، ص21.

2 - الرواية، ص79.

3 -الرواية، ص64.

4- الرواية، ص56.

" لذلك كان يعجبنا قول (لوكرتيوس)، أن الدين شرٌّ ما بعده شرٌّ، وإن الواجب على الإنسان ومهمّة الفلسفة الأولى أن تتخلص نهائياً من كل دين لأن الدين هو ينبوع كل شر".¹

وهنا تمرد على الدين وسخر منه وصّرح على أن الدين منبع كل شر وكرهه لكل العادات والتقاليد ورفضه الخضوع لها .بل تمرد على الشريعة والرسل والأنبياء و يقول "كنا نسمي الأنبياء الدجالين، لأنهم بكذبهم على الناس يصنعون لأنفسهم قامة لا يستحقونها، وبريقا ليسوا أهلا له، وسمعة هم خلو منها .لذلك كان أبغض الناس لنا هم الأنبياء، وأكذب التاريخ تاريخهم، وأحطّ زمن تكون فيه الحضارة هو الزمن الذي يكثر فيه أتباعهم وتعلو فيه فكرتهم، لأن الخرافة ضدّ الحضارة".(ص43،42)

ويعتبر كل ذلك قيّدا واحدا من حريته .فهو في مرحلة التمرد أو الإلحاد يعيش الحرية المطلقة، لجسده وحواسه وعواطفه .

❖ اللامعنى :

وهو "إدراك الفرد وفهمه أو استيعابه لما يدور حوله من أمور وأحداث عامة أو خاصة. ويرى الإنسان المغترب أن الحياة لا معنى لها لأنها تسير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول، ومن ثمّ يعيش حياة التفاهة واللامبالاة".²

والبطل يقر و يعترف بأن حياته لا معنى لها لأنه يعيش مرحلة اللادين والتمرد ويعيش الإحساس بالضياع و الاستقراء حتى يتصور قواعد بديلة في الحياة من وجهة نظره إذ يقول : "وهذا المأزق شطرنج نصفين، نصف يعقل ونصف يريد، فالذي عقلته لم أرده، والذي أرده لم أعقله!".³

1 -الرواية، ص42،43.

2- يحيى الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، ص18.

3 - الرواية، ص54.

" ذلك الشعور هدياني إلى شيء خطير جداً وهو أن ((الحياة لا منطق لها))، أو هي كرة كبيرة من القش و"الأعواد وبقايا القماش والأوراق والفضلات جمعياً تتدحرج إلى اللانهاية".¹

ضف على ذلك أيضاً أن البطل كان يشعر وكأنه لا معنى لحياته في الرواية فيطرح أسئلة وجودية وأخرى غريبة تدل على عدم رضاه على الواقع يقول "وأنا في حيرة من ثلاث لما جئنا لهذا الوجود الغريب علينا؟ ولما نحن موجودون فيه دون أن نستطيع فهمه، وكلما حاولنا أن نكون سعداء بفهمه قابلنا بجنونه؟ ولما ننتهي ونفنى كما تفنى الحشرات والدّواب، ونحن لم نفقه بعدُ يسرّ مجيئنا وسرّ رحيلنا؟".²

في هذه المرحلة يشعر البطل بأنه غريب عن واقعه بل غريب عن الحياة التي لم يعد يستطيع فهمها وفهم وجوده فيها .

ويقول في مثال آخر : "شيئاً فشيئاً نمتُ في نزعة اللامبالاة بهذا الوجود العابث، فغدت الأشياء عندي متشابهة مادامت كلها نابذة من وجود مجنون وصائرة، إلى العدم".³ إن عدم رضاه عن واقعه، وعن وجوده في الحياة جعل كل الأمور في كفة واحدة، لكنها متشابهة نمطية تدفع إلى الملل واليأس وهي مرحلة تدخل صاحبها إلى مرحلة الجنون أو الانتحار أحياناً.

❖ اللاهدف :

يرتبط في المظهر ارتباط كبيراً بـ: اللامعنى فغياب الهدف في حياة الفرد تعني غياب معناها؛ أي أنا الإنسان الذي يعيش حياته بدون هدف يصبح وجوده مثل عدمه لا يفيد، ويصبح مغترباً داخل مجتمعه.

1 - الرواية، ص55.

2- الرواية، ص55.

3- الرواية، ص56.

أي " أن الإنسان لا يوجد هدف معين واضح في حياته فهو: شعور المرء بان حياته تمضي دون، وجود هدف أو غاية واضحة".¹

وهذه الخاصية (اللاهدف) تتجلى بوضوح في المرحلة الثانية من حياته وهي مرحلة إلحاده فيقول: "وأنا أيضا تغيرتُ، فلم يعد يهمني شيء، كنت فقط أعيش لأثبت وجودي وتمردّي، تساوت عندي الأشياء والمعاني وتشابهت، ففقدت شهية الاختيار".² وهذا المقطع لا يشير إلى عدم الرغبة في الاستمرارية في الحياة إلا أن البطل يمضي في الحياة بلا هدف محدد.

❖ الاغتراب عن الذات :

هو نوع من الاغتراب الداخلي حيث يقول (سيمان): "عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه و شعوره بالانفصال مما يرغب في أن يكون عليه".³

وهذا يعني عدم قدرة الفرد على التواصل بينه وبين مجتمعه ويتجسد ذلك في الرواية "هكذا فكّر عقلي الصّغير دون أن ينتظر جواباً من احد، وإن الذي اهتديت إليه زلزل أركاناً في داخلي".⁴

في هذه المرحلة يشعر البطل بعد تواصله مع ذاته ومع فكره بدليل كثرة الأسئلة وتراكمها بداخله واختلاط المشاعر، فيعيش مرحلة من الانفصامية، وهي تشكّلت بوضوح في مراحل من حياته عبر أحداث الرواية.

❖ الاغتراب العاطفي :

مرتبط هذا النوع بأحاسيس وعواطف الأشخاص، وهو حالة عاطفية مركبة تشمل كيان الإنسان جسداً وعقلاً وروحاً، وتقوم على أساس التوحد والثبات والاستقرار في الآخر، وتمتزج فيه عوامل عديدة مثل: الانفعال العاطفي والعطف والمودة ويصبح الفرد يضحى في سبيل الإنسان الذي يحبه ويضحى من أجل سعادته ومصلحة من يحب ونجد

1 - عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص42.

2- الرواية، ص57.

3 -عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص40، 39.

4 -الرواية، ص 21.

البطل كان يعاني اغترابا عاطفيا بينه وبين أمه فنجد العلاقة بينهما كانت جامدة وجافة ويظهر هذا النوع من الاغتراب في الرواية في يوم جنازة والدته البطل بحيث أنه لم يحزن كأبي إنسان على والدته حيث يقول: "مدير دار الشيخوخة في شهادته قال: إن أمي كانت تشتكي من الوضع وتعاتبني، وأنه تفاجأ بهدوني أثناء الدفن، وأني لا أعرف سنّ أمي".¹

يقول: "لما وصلت قابلت مدير دار الشيخوخة، وأخبرني بأشياء صغيرة تخصّ أمي ولا تهمني، ثم انفردت مع جثة أمي التي لم أَرُ أن أرى وجهها لا شيء".²

وأبضا في يوم جنازة والدته ذهب إلى السينما ولم يحزن على وفاة والدته "ذهبت إلى الشاطئ ووجدت ماري كاردونيا كانت تشتهيني وكنتُ أشتيهيها، لهونا في البحر ثم أخبرتها أن أمي ماتت فاندعشت، ثم في المساء ذهبنا إلى السينما وشاهدنا فيلما مضحكا وسخيفا"³

ويبدو أنه عاش علاقة خالية من العواطف والمشاعر و المودة والرحمة مع والدته، ومن الاغتراب العاطفي أيضا نجد أنه تعلق وتوهم بوجود فتاة أسمها مريم وهو أحبها وتعلق بها ويبدو أن الشخص المغترب عاطفيا دائما يكون يبحث عن شيء يتعلق به ويتواصل معه حتى وأن كان ذلك في الوهم وليس في الواقع في قوله: "مريم ما زلت في قلبي حرباً لا تهدأ".⁴

في القول: "وهل هو القدر أو الحظّ الذي أخذني من باريس الباذجة إلى جنوب الجزائر كي أتعثر بك في قرية مرمية في الصّحراء؟! ما أعظم الحياة حين تهبنا أكثر مما نتوقع!".⁵

1- الرواية، ص62.

2 -الرواية، ص58.

3 -الرواية، ص58.

4- الرواية ص 09.

5- الرواية، ص09.

أي البطل مارس الاغتراب حتى على مستوى عواطفه هروبا من الواقع وآلامه ونجده قد تعلق بفتاة اسمها مريم مرتين مرة عندما كان صغيراً ومرة في شبابه ويقول: "مريم، أحببتُ اسمك مرتين، أحببتُهُ صغيراً، وها أنا أفْتَنُّ به كبيراً، في صغري كانت السيِّدة مريم وهي تحمل صبيها تستوقفني فأغرق في تفاصيلها، كان وجهها المشرق يستعبد عينيَّ وقلبي الصَّغير، ولا أستفيق من عبادتي الهائلة إلا على وخز صديقي(جورج)، الذي كان حريصاً مثلي على حضور الدروس اليومية في كنيسة(الأرمن الأرثوذكس بمرسيليا) " ¹.

وكان يراها في حاسي خليفة ويلتقي معها متصوراً ذلك "فتواريت وراء جذع نخلة وانتظرت قدومها، فجاءت ولكن لا خششة في مشيتها كأنها لا تطأ الأرض فلما دنت من النخلة برزت لها فإذا هي شابة فاتنة لها بشرة بيضاء منعّمة وعينان واسعتان وملامح رقيقة كأنها انتقت ملامحها بنفسها ولا أحد فرض عليها شيئاً" ².

وقد تعلق بها لأيام كثيرة حتى أنه طلبها للزواج والارتباط بها يقول: "وفي الليل أسهر وحدي، أذكرُ مريم وما كان منها فأشحنُ وأتلوَّى عذاباً، وأتوقّف طويلاً عند حوارٍ مع مختار لما عدت من الصحراء بعد أن نجوت بحياتي، لقد طلبت منه أن يزوّجني مريم، بعد أن شهد دخولي في دينها، فتعجب من طلبي منه، وأخبرني أن مريم ميتة منذ أعوام! وإنني أنا سبب موتها! لم أفهم ساعتها شيئاً ودارت بي الأرض والحياة" ³.

ومن خلال هذه الفقرة نستنتج أن البطل عندما كان مغترباً عاطفياً من خلال علاقته الجافة والجامدة مع أمه بدأ يبحث عن البديل وبالتالي فهو تعلق بـ"بوهم"، "والاغتراب العاطفي هو إقامة علاقات إيجابية من الطرف الآخر أنثوي/ذكوري من الوسائل التي تكفل الإنسان التغلب على عزلته، والخروج من حالته الاغترابية ، فالحب بهذا الفهم سيقوده إلى

1 -الرواية، ص11.

2 -الرواية، ص74.

3 -الرواية، ص135.

اغتراب عاطفي أكثر عمقاً يضاف إلى اغترابه الاجتماعي¹. ويبدو أن البطل بدا يستقر نوعاً ما عاطفياً سواء كان واقعا أو وهماً.

2- الاغتراب الاجتماعي :

و مما اتضح لنا فإنّ "الاغتراب الاجتماعي واحد من أبرز أنواع الاغتراب التي بدت على الشعراء في القديم والجديد، فالشاعر هو إنسان قبل كل شيء، ويعيش ضمن مجتمع وهنا تتداخل وتتشابك المواقف الاجتماعية التي بدورها تسير بالشاعر إلى الحيرة والتّيه ومنه يتكون لنا ما يعرف بالاغتراب"².

فإنه في أي مجتمع من المجتمعات لابدّ من وجود مجموعة من العوامل الاجتماعية التي تنتج وسيلة ضغط على أفراد المجتمع خاصة الشعراء و الأدباء فيها والفلاسفة الذين يتأثرون عن باقي أفراد المجتمع العاديون، ومنه تدفع بعض مكوناته البشريّة إلى الإحساس بالوحدة والضياع، الأمر الذي يدفع إلى الاغتراب ضمن المجتمع الذي هو فيه³. والاغتراب هو "عجز الفرد عن أن يتواصل اجتماعياً مع العادات والتقاليد التي يعيش فيها فيكون ميّالاً إلى العزلة عن الآخرين وفاقدًا للقدرة على إدراك أحداث الحياة بصورة موضوعية و بعيدة عن الذاتية فضلاً عن شعوره بعدم جدوى الحياة"⁴.

1 - جعفر محمد راضي ، الاغتراب في الشعر العراقي، منشور اتحاد الكاتب العرب، دمشق سوريا، ط1، 1999، ص14.

2 - ينظر، عباس إحسان ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1 ، 1978، ص 55 .

3 - ينظر: عبد الرحمان عقيف، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً و حديثاً، دار الفكر للنشر و التوزيع، القاهرة مصر، ط1، 1987، ص 43 .

4 - بشرى عناد مبارك، الاغتراب الاجتماعي و علاقته بالحاجة إلى الحب، مجلة كلية الآداب، جامعة ديالى، كلية التربية الأساسية ، العدد 85، العراق، 2008، ص 05 .

ويعتبر أيضا هو "الاغتراب عن المجتمع ومغايرة معاييرها، والشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية والمعارضة والرفض والعجز عن ممارسة السلوك الاجتماعي العادي"¹ .

وبناء على تلك المعطيات فإنّ الفرد يفقد الشعور بالانتماء إلى المجتمع مع ميل إلى العزلة والانفراد والانطواء والبعد وذلك بسبب شعوره بأنّ ما يفعله ليس له قيمة ولن يؤثر على المحيط الخارجي .

يتجلى الاغتراب في رواية (الملحد، بقي بن يقطان) من خلال: الاغتراب الذي كان حاضرا في التمرد على ما هو موجود وهذا ما نجده في صفحة الإهداء في قوله : "إلى الذي ظنّ أنّ 'الحياة ظلّمته فاختار أن يتمرّد..²" . في هاته الأخيرة ربط المؤلف ظلم المجتمع بالتمرد عليه .

عاش البطل غربة بين أفراد مجتمعه وغربة نفسية في قوله : " عشت ما يقارب الأربعين سنة من المتاهات وهي تكفي لأن تخلق منّي إنسانا ضائع اليقين، له غربتان غربة بينه وبين الناس، وغربة بينه وبين نفسه "³ .

ومن خلال قوله الآتي: " منازلهم رثة وموحلة، تفوح منها رطوبة ونتونة، كل شيء في تلك الأمكنة يدعو للتعاسة والحزن "⁴، شعور البطل بالكره والقرص والحزن من المكان والمجتمع الذي يعيش فيه.

وفي قوله : "«أسيادي رجال الدّين لا يقعون في الخطيئة»". هذا اليقين عندما سقط تجلّت لي زوايا جديدة للنظر، كانت معتمدة من قبل"⁶ . ، هنا اغترب (ميرسو) عن رجال الدّين الذين كان يعتقد أنّهم مقدسون، وهو اغتراب اجتماعي .

1 - عبد الله عبد الله، الاغتراب النفسي و علاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس و علوم التربية و الأطفونيا، جامعة، يوسف بن خدة الجزائر ، 2007 - 2008، ص 44 .

2 - الرواية، صفحة الإهداء .

3 - الرواية، ص 10 .

4 - الرواية، ص 21 .

وصول البطل إلى مبتغاه بعد تيه واغتراب مجتمعي ومكاني طويل من خلال قوله : " لم نصل إلى المكان الذي سنقيم فيه إلا بعد مسيرة طويلة بعد أن انقطعت الأصوات فلا صوت يتناهى إلى أسماعنا، ليس فوقنا إلا سماء وليس تحتنا إلا رمل " ¹

❖ الاغتراب عن الشخصيات والمجتمع :

1-الخال وبداية الاغتراب:

الخال هو كان يعطيه أفكارا غريبة وعندما كان يذهب للكنيسة ويعود يقول له أنت متعلق بالكنيسة ويستفزّه بالأسئلة جعله يدخل في مرحلة الشك وهنا بداية الاغتراب وهو الشك والبحث عن الحقيقة وفي قول "خالي(ديفيد)دائم السخرية من المسيحية ومن الكنيسة ورجالها فقد كان يسمي الكهنة بالأصنام، ويسمي الشماسة بالعبيد، والإنجيل بالخرافة الكبرى، ومما كان يخلني قوله لي عندما أمرّ قرب بيته(هل حفظت الخرافة الكبرى؟!)" ².

"لم يجبني بشيء، واكتفينا بالعودة راجلين إلى البيت وأثناء الطريق كان السؤال الذي طرحته على خالي يلتفتُ إلي، بعد أن سكت خالي عنه، فنَبَتَ في نفسي شكٌّ عقدتُ العزم أن أزيله غداً." ³

وفي هذا المقطع نستنتج أن بداية الشك وتحريك الثوابت الداخلية للفرد وهو بداية الاغتراب للبحث عن الحقيقة.

1 - الرواية ، ص107.

2- الرواية، ص14.

3- الرواية، ص30.

2- رجال الدين والاعتراب:

❖ رجال الكنيسة وتدنيس المقدس (بداية الاعتراب):

وفي مفهوم المقدس نجدها تحمل أحد المدلولين ويمكن تحمل معاني أخرى، هما:

الأول العصيان على الفهم، فالأمر المقدس أو القدسي هو الأمر الذي لا نفهمه ولا نعيه وعيًا عقلانيًا في بنيته الداخلية، وإن كان أصل وجوده قد ثبت لدينا بدليل عقلي وطبق تصوّرات عقلانية، فمثلاً (الله) أمرٌ مقدّس، بمعنى أننا لا نفهمه ولا ندرك ذاته ولا كُنْهه.

وفي رواية الملحد نجد البطل بعدما كان مؤمن بالمسيحية ويريد أن يصبح قديس ومع مرور الوقت تغيرت هذه الفكرة من خلال ما شاهده في الكنيسة من أفعال الشماس (دانييل) والكاهن (جوزيف) التي يقومان بها مثال ذلك : " أرسلني معلّمي إلى غرفة الشماسة أجب له شيئاً منها وقبل وصولي إليها تنأى إلى سمعي صوت صراخ مكتوم، فاقتربت من الغرفة فإذا بدانييل يحتضن جورج من الخلف ويكتم صرخته بكفه القوية، فلم أفهم شيئاً " ¹ ويواصل في اغترابه وذهوله مما شاهده وهو كان يؤمن بالمسيحية والكنيسة حيث بدأ الشك يدخل إلى باله بقوله " لم يذهب بي ظني بعيداً لأنني قلت في نفسي أن دانييل يستكتم جورج أمراً ذا بال. أو أنه يعبث معه انصرفت ولم يرياني " ².

وفي هذا المقطع كان البطل يشعر بنوع من المعاناة الداخلية والضغط النفسي الذي بداخله وخاصة عندما رأى ملامح الحزن والانكسار في عين زميله جورج وهو غير قادر على البوح أو التعبير عن معاناته التي في نفسه.

وتجلت له أشياء جديدة عن الكنيسة ودخل في مرحلة شك وهي بداية الاعتراب حيث قال. " ومن الأشياء التي اتضحت لي أن مسكة دانييل لجورج من الخلف لم تكن

4- الرواية، ص 18.

2 - الرواية، ص 18.

للعبث معه أو لاستكثامه أمراً، بل لأن شهوة شبقية تلدغه من أعماقه، فطلب لها مصرفاً فلم يجد إلا جورج اليتيم، الذي يكتم كل حماقات دانييل ¹.

ومن الأشياء التي اتضحت له عن الدين المسيح وأكدت شكوكه نحو المسيحية وهو عندما رأى معلمه في بيت الأرملة وكيف كان يتصدق عليها وفي المقابل يستغل جسدها ونجد هذا في المثال التالي: " فوليت إلى بيت الأرملة أسترد ساعتى، عندما وصلت إلى هناك كانت العتمة تنتشر سوادها، اقتربت من البيت فإذا فيه صوتان. ولها اقتربت أكثر وتبينت إذا آهات ملتدة، وكلام بذىء، نظرت من تلك النافذة القديمة فإذا معلمي بعينه المغمضتين دائخ من لذة تأتيه من أعماقه ²!".

وفي هذا المثال يتبين أنه انصدم من معلمه الذي كان قدوته وتجلت له صورة الكنيسة والدين المسيحي وتدنس فكرته ونظرته للكنيسة، وبدأ في حالة اغتراب وشك وقرر ترك المسيحية.

❖ رجال الإسلام والدين (نهاية الاغتراب):

الإسلام وهو الاستسلام لله والخضوع له، بفعل أوامره، وترك نواهيه والإسلام يعني الانقياد والذل لله بتوحيده والإخلاص له وطاعة أوامره.

والدين هو ملة الإسلام وعقيدة التوحيد التي هي دين جميع المرسلين من لدن آدم ونوح إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم-.

فمن هذه المفاهيم نستشف أنّ البطل عندما ذهب إلى حاسي خليفة بدأ يحتك بالبيئة إسلامية ويسألهم، بدأت تتكون علاقة عاطفية هادئة بينه وبين هؤلاء الأشخاص ومن الأسئلة التي كان يسألها لإمام المسجد عن القرآن في قوله " سألته متجاهلاً: ما الذي كنت تلقنه الصبية؟ فردّ: ((القرآن)) فقلت: ((وما هو؟)) فقال: ((هو كلام الله المعجز، فيه

1 - الرواية، ص 22.

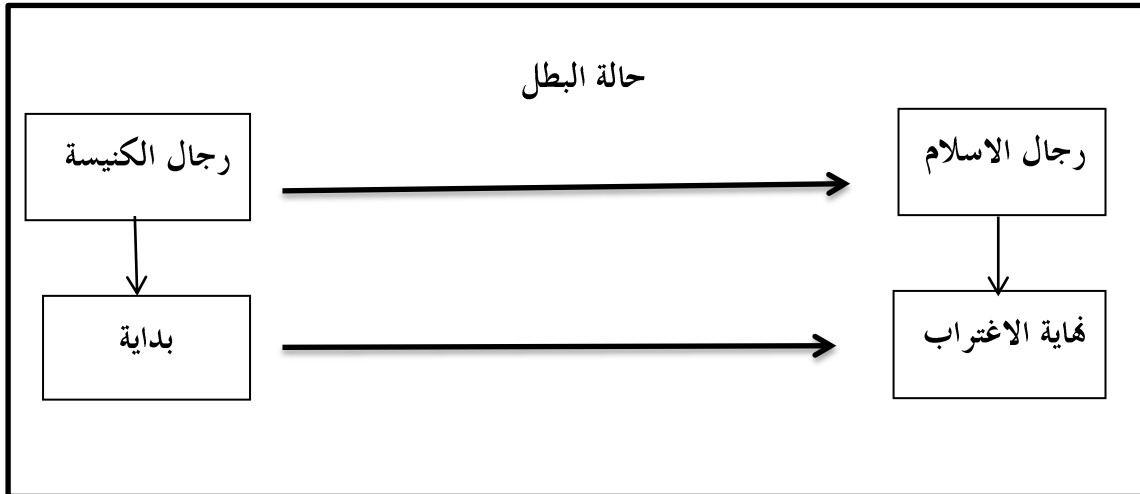
2 - الرواية، ص 20.

النور والهداية وهو عناية الله بنا إذ فيه طريق سعادتنا، وسر وجودنا، وسر البداية والنهاية¹)).

ومن أمثلة الأسئلة التي يريد منها (ميرسو) تفنيده وتغليطه يقول: " ثم سألته: ((وهل وجدت تلك السعادة وأنت في شطف العيش وسط هذه الصحراء العامة؟ تنهد وأجاب: ((الإنسان إذا عشق ربه حق العشق فإن كل الأشياء دون الله تعدو تراباً²."

ومن خلال أسئلته للإمام بدأت تتكون عنده علاقة هادئة من الإجابات التي تركت وقع في عقله وذلك في قوله: " حقيقة عرّاني أمام نفسي مرة ثانية، وأوقفني على حقيقتها. إن الأشياء في عالمه واضحة، ليست كالتي في عالمي مستترة وغبشة لذا قررت³." وفي مقطع آخر: " أن أتخلى عن ذاتي وهواي وأنصت لهذا الرجل كثيراً، وأفرز ما يقوله لي، آخذ منه ما اقتنعت به وأترك ما لم يقنعني⁴."

في الأخير اقتنع ورضي بالشواهد والأدلة التي قدمها له والتي أثبتت كلامه صحيح.



مخطط رقم (03): يوضح تحول الشخصية من حالة الاغتراب بين الكنيسة والمسجد

1 - الرواية، ص 75، 76.

2 - الرواية، ص 76.

3 - الرواية، ص 93.

4 - الرواية، ص 93.

الفصل الثاني:

تجليات الاغتراب من خلال المكونات السردية في رواية الملحد

أولاً: ملامح الاغتراب في الفضاء المكاني

- 1- الاغتراب في الفضاء المكاني الغربي (الأنا)
- 2- الاغتراب في الفضاء المكاني العربي (الآخر)

ثانياً: الاغتراب في الزمنية السردية

- 1- المفارقات الزمنية ولامح الاغتراب
- 2- الديمومة ولامح الاغتراب

أولاً: ملامح الاغتراب في الفضاء المكاني :

لا تكتمل دراسة الرواية دون النظر في المكان وتأثيره على مجرى الأحداث و" المكان لفظ مشتق من مادة "مكن" وجمعه أمكنة وأمكن وجج: أماكن"¹ ، وهي مواضع ثابتة محسوسة قابلة للإدراك، أما الفضاء فهو أوسع وأشمل من المكان، لأنه يحتوي على عدة أشياء مختلفة ومتنوعة تبدأ من " المساحة الورقية التي يتحقق عبر بياضها جسر الكتابة إلى المكان الذي تظهر فيه الشخصيات والأشياء ملتبسة بالأحداث"². وقد أجمع نقاد الرواية على أن للمكان أهمية كبرى في تحديد الخصائص الفكرية والنفسية للشخصية من خلال إلقاء الضوء على العلاقة المتبادلة بينهما بل إنه يحدد ملامح الشخصية وعالمها الفكري والنفسي عن طريق "إسقاط الكاتب الحالة الفكرية والنفسية للشخصيات على المحيط الذي تعيش فيه"³ . كما يبرز الحالة الشعورية :للشخصيات وما يقرأ عليها من تحول بمرور الأحداث

ولقد قسم النقاد المكان _كمكون سردي_ إلى نوعين مغلق ومفتوح وأول ما يخطر على البال عند سماع هذه التسمية أن المكان الذي له سقف أو ضيق ومحدود فهو مغلق وإن كان واسعاً وغير محدود أو بلا سقف فهو مفتوح، والحقيقة أن الانفتاح والانغلاق يتغيران حسب نمط الشخصيات التي تشغل ذلك الحيز المكاني وحسب طريقة تفكيرهم وطبقتهم الاجتماعية التي ينتمون إليها.

1- الاغتراب في الفضاء المكاني الغربي :

أ- الأمكنة والحدث :

رواية الملحد تضمنت عدة أمكنة وقعت فيها أحداث الرواية، وسنستعرض كل هذه الأماكن على مستوى الحدث الغربي وكيف أثرت وتأثرت بمجرى الأحداث وتفاعلاتها مع الشخصيات.

1- لويس معلوف، المنجد في اللغة والاعلام، منشورات دار المشرق، بيروت لبنان ،ط7، دت، ص 771.

2- يحيى العبد الله، الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، ص 161.

3- يحيى العبد الله، الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية ، ص 161.

❖ مرسيليا :

مرسيليا هي مدينة تقع جنوب فرنسا وهي مسقط رأس البطل وقد قضى فيها الفترة الأولى من حياته.

منذ بداية الرواية، يعترف البطل أنه قد عاش حياته أو جزء منها في حالة متاهة واغتراب حقيقي "عشت ما يقارب الأربعين سنة من المتاهات وهي تكفي لأن تخلق مني إنسانا ضائع اليقين، له غربتان غربه بينه وبين الناس وغربه بينه وبين نفسه، كنت تماما كحجر مرمي في سديم لا ينتهي"¹

فهو يشعر بالغربة عن محيطه الاجتماعي الذي لم يستطع أن يتعايش فيه مع ما يرى فيه من ممارسات لا تمت بأي صلة للإنسانية والفضيلة، كما سيظهر ذلك من خلال مشاهداته التي سيرويها تباعا، بالإضافة إلى اغترابه عن مجتمعه فهو يعاني كذلك غربه بينه وبين نفسه أو اغتراب ذاتي وحرب نفسيه داخليه ومعركة ميدانها نفسه وقناعاته التي اهتزت مرات ومرات نتيجة لما يرى ويسمع فكان بعد ذلك يستمر في إنكار أسئلته وإلغاء شخصيته وكبت فضوله الدائم لمعرفة الحقيقة، ومن هذه الأماكن التي تردد عنها (ميرسو) في هذه المدينة وروى فيها مشاهداته الكنيسة.

❖ الكنيسة :

وهي مكان "يرى البعض أنها المبنى الذي تعقد فيه الاجتماعات ويرى البعض الآخر أنها الطائفة أو المنظمة الدينية، لكن المعنى الحقيقي للكنيسة هو جماعة المؤمنين الذين يجتمعون معا للصلاة والعبادة لدراسة كلمة الله، وحفظ الفرائض "المعمودية والعشاء الرباني"²

رغم أن الكنيسة مكان للعبادة لكن مرسو مضطر أحيانا لممارسه عبادته في السر "يبتسم جورج بمكر، لضبطه إياي في عبادة السرية التي لا يعرفها احد سواه"³

1 - الرواية، ص10.

2 - و. ج. جيبسون، الكنيسة النابضة، دراسة تفصيلية في كل مايتعلق بموضوع الكنيسة ونظامها ونموها بحسب تعليم الكتاب المقدس، هيئة خدمات فيرهيفن سان لياندو، كاليفورنيا، دط، 2002، ص7.

3- الرواية، ص11.

الكنيسة تمثل مكان العبادة والطمأنينة، لكن بالنسبة ل (ميرسو) لا يجد ذلك الجو دائما فهو لا يتصرف كما يحلو له فغير مسموح له وصديقه ممارسه عبادته بحريه لان طقوس الصلاة هنا أكثر تعقيدا ومع ذلك ما زال ينظر للمكان أنه المحطة التي ستوصله إلى هدفه الأسمى حلمه وحلم أمه وهو أن يكون قديسا عظيما، فقد سال معلمه ذات يوم عن معنى كلمه قديس فأجابه " القديس يا ميرسو هو الرجل الذي اختاره الرب كي تتجلى فيه كل الفضائل الإلهية وهو منزّه عن كل رجس"¹ عنده ازداد عزم (ميرسو) على تحقيق ذلك الحلم، لكنه سرعان ما بدا يصطدم بالواقع فالأمر هنا ليس كما يعتقد ويظن.

اشتعلت همته وأنهمك في المطالعة سير القديسين الذين ضحوا بأنفسهم من أجل المسيحية حتى كانت تنتابه موجات من البكاء الشديد مع جورج بسبب تأثرهما بنبل هؤلاء القديسين وتاريخهم المقدس والطهر الذي يمثلونه، لكن هذه الحالة من الوجد والروحانيه والنقاء النفسي لم تكن تروق للأبيوديكون (دانيال دي سرات) فيكلفهم بمهام في المكتبة لإفساد حالة القداسة التي وصلا إليها فيفرق بينهما لأسباب يجهلها (ميرسو).

❖ منزل الأرملة:

وصف (ميرسو) منزل الأرملة بأنه مكان ضيق جدا، فيه بهو وحمام ومطبخ وغرفة واحدة لها نافذة قديمة تفتح على الشارع مباشرة، وذلك لإظهار حالة فقرها وعوزها ثم صب جل اهتمامه بما يدور بينها وبين معلمه.

فالمعلم لم يستطع إخفاء شغفه بحركاتها ومشيتها وتغنجها، ليكتشف فيما بعد وجود علاقة بينهما وذلك بعد رؤيته لهما في وضع مغل عند عودته من أجل أخذ ساعته التي نسيها هناك .

لقد كانت هذه اللحظة بداية التحول في شخصيته "غبت عن الكنيسة ايام وفي كل يوم كان جورج يزورني فأتمارض وأتناقل عن الحركة، ولكنني بيني وبين نفسي كنت مصدوما مما رأيت وسمعت لأن معلمي كان قدوتي الأول"²

1 - الرواية، ص12، 13.

2 - الرواية ، ص 20.

هنا بلغ (ميرسو) ذروة اغترابه عن محيطه الاجتماعي الذي اكتشف زيفه وخداعه وتساءل كيف تحرم الكنيسة عن أتباعها الزواج وتعدده منقصة في حقهم ثم يلجؤون لممارسه الفاحشة والرذيلة الذي ترفضها كل الشرائع والأديان .

شعر (ميرسو) بالاغتراب عندما رأى الإنسان كيف يضر أخيه الإنسان استغلالاً لحاجته وفقره كما فعل ذلك المعلم مع الأرملة التي انتهك جسدها مقابل معونة الكنيسة كما يتعمق اغترابه وكرهه لهذا الواقع الذي يعيشه عندما نراه ينقل لنا طقوس تعميد الفتاة من قبل الكاهن بطريقة أقل ما يقال عنها انها مثيرة للغرائز وهي ابعد ما تكون عن أي طقس ديني نظيف.

مازال (ميرسو) يصور الأحداث التي تقع في هذه الأماكن فيصف لحظه إجبار الفتاة العربية على الاعتراف بخطاياها التي تحجبها عن نور الرب "كانت تمشي وفي مشيتها نفور من شيء حالها كحال ذبابه في شباك عنكبوت جائع"¹.

❖ دير الرهبان:

يقول (ميرسو) انه مكان لم يشعر بالراحة والطمأنينة فيه "شممت شيئاً من النتونة فانقبضت نفسي"² لكنه ظن أن سبب ذلك كثرة الرطوبة وقلة التهوية، فكان يبحث عن مبرر يفسر به ما يراه من مواقف أو مشاهدته وتصرفات لم تعجبهم .

ثم يزداد إحساسه بالغربة والتوجس في نفسه عند مقابلته كبير الرهبان ومساعدته الذي (لم يكف عن النظر إلي وإلى جورج بعينين مفتوحتين عن آخرهما، لم أطمئن إليهما ولا إليه)³ ثم ختم زيارته لدير باستغرابه من حاله الراهب المنكسر الحزين الذي تعرض لعقاب الكاهن دون الإفصاح عن خطئه.

1 - الرواية ص 24.

2 - الرواية، ص 15.

3 - الرواية، ص 15.

❖ دير الراهبات:

اكتفى (ميرسو) بوصف بسيط لكبيرة الراهبات ثم تسلل مع جورج للتجول في الدير فوجدا مكاناً أخافهما لأنه كان مملوءاً بالجمام وعندما سال قيل لهما: " أنها لراهبات كن هنا، فانتقلت أرواحهن إلى السماء وبقي الجسد."¹

وفي مشهد آخر يصف فتاة يافعة تتعرض للتعذيب والضرب لأنها تريد ترك المسيحية، شعر (ميرسو) بنداء الإنسانية تجاه تلك الفتاة وتضامن معها بمشاعره وانصرف وهي لم تغادر تفكيره.

❖ غرفة الشماسة :

لم تختلف غرفة الشماسة عن بقية الأماكن التي لاحظ فيها (ميرسو) تصرفات مربكة وأخرى مرفوضة ليس لها علاقة بتعاليم الكنيسة فيقول: "اقتربت من الغرفة فإذا بدانيال يحتضن جورج من الخلف ويكتم صرخته بكفه القوية، فلم افهم شيئاً"²

لايزال (ميرسو) حسن الظن بمحيطه لأنه لم يفهم ما الذي يجري، لكنه عرف أن الذي رآه لم يكن مجرد عبثا عابر بل هو شيء وخيم لم يسبق له معرفته لحدثة سنه وتأكد من ذلك بعد ملاحظته لانكسار صديقه جورج وذله وحزنه الشديد على نفسه.

❖ باريس:

المكان الثاني أو بالأحرى المدينة الثانية بعد مرسيليا هي باريس، وهي مدينة كبرى كسائر المدن العالمية الصاخبة والإنسان يرى أن المدينة "هي مسكنه الطبيعي أوجدها في خدمته وعلى مستواه، وتختلف المدن عن بعضها البعض فكل مدينة موقعها الجغرافي وتتميز كل مدينة بعباداتها وتقاليدها"³.

1 - الرواية، ص16.

2 - الرواية، ص18.

3- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا (حكاية بحار-النقل- المرفأ البعيدة)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق سوريا، دط ، 2011 ، ص96.

وفي هذه الرواية نجد أن مدينة باريس تمثل المكان الذي بلغ فيه (ميرسو) ذروة اغترابه حتى أصبح لا يكاد يعرف نفسه فقصدها من أجل العمل في المقر الرئيسي للصحيفة التي أصبح خاله (ديفيد) رئيساً لتحريرها.

يرى (ميرسو) باريس أنها المكان الذي سيحقق أحلامه التي تغيرت من حلم راهب وقديس عظيم إلى فيلسوف وصاحب نظرية فلسفية عميقة، كما نظر للمكان على أنه سيبيح له كل محظور منع منه سابقاً، فانطلق يسابق مجونه وجنونه وينتهك كل المقدسات طالقا العنان لغرائزه يطبق مفاهيم ونظريات الإلحاد ومنها فكرة (الإله الخرافة) فرب غير موجود لمحاسبة أحد عن أفعاله والناس أحرار في تصرفاتهم ولا يحق لقوه أخرى غير إرادتهم الحرة أن تدير شؤونهم، ولهذا فعل فعلاً منحطاً لم يسبق له أن فعله مع أحد ألا وهو معاشرة زميله المخنث في مقر الجريدة.

كان (كريستيان) شخصاً رخو العزيمة معدوم الإرادة سهل الانقياد وكان (ميرسو) قبل ممارسه الجنس مع زميله يحاول أن يوقظ ضميره ويتوقف عن هذه الأفكار ويعود إلى الفطرة السليمة لكنه سرعان ما يسكت بحجج واهية يستخدمها الملحدون لإقناع أنفسهم بأنهم على صواب "الإله الخرافة غير موجود حتى يحاسبني عنها أخلاقي أنا من يخلقها وأنا وحدي مسؤول عنها"¹ لقد حاول (ميرسو) أن يعود لذاته الأولى عندما اشماز مما كان ينوي فعله (بكريستيان) ووصفه بالعمل ألقذر لكنه تذكر مقولة (أبقور) إن اللذة مصدر السعادة الأوحده فيمضي في صنيعه لكنه يعترف في النهاية أن هذه اللذة إنما هي زائلة وتتناقص شيئاً فشيئاً

مزال (ميرسو) في بحر من التناقضات الفكرية التي تتقاذفه من هنا وهناك ، حتى ظهرت شخصية زميلة (مارك) الذي قتل عشيقته (ديانا) وقتل أخاها؛ لأنه ظنها تخونه مع رجل آخر ، فجاء الى (ميرسو) طالبا منه الشهادة معه في المحكمة بأنه غير مسؤول عن قتلها ، وأنه كان معه وقت الجريمة.

لقد كانت هذه الشهادة الكاذبة وأمام مرأى العجوز الثكلى التي خسرت ابنيها بمثابة الضربة القاضية لإنسانيته وضميره، فنجدته يقنع نفسه بأنه على حق لأن "البقاء للأقوى وأن لقوة هي الفضيلة العظمى في الوجود"¹، فالتبيعة تنتخب الأقوى حسب ما ترى الفلسفة الداروينية، ثم يزداد قسوة فنجدته يساعد العاشق (إبرهام) على الانتحار بسبب هجران عشيقته (ديانا) فنصحته برمي نفسه من أعلى بناء في باريس حتى تتوقف عذاباته، وفعلا حصل ما نصحه به فيقنع (ميرسو) نفسه لأنه على حق مرة أخرى، ويتساءل عن الهدف من هذه الحياة وجدواها، إذا كانت تعيسة فالموت أفضل منها.

وتتوالى أفعاله السيئة فقد استغل متسولا أعمى وسرق كل ماله بعد _أخذ ورد مع نفسه_ حتى أقنعه ضميره بأنه هو الأولى بامتلاك هذا المال فالرجل لا يقوم بعمل مهم في حياته بينما هو يحتاج لمصروف على القمار والنساء، والمحتاج تنتفي عنه الحرية وبانتفائها تسقط مسؤوليته على الجرم الذي ارتكبه في حق المتسول، وهذا الفعل يعد أقصى ما وصل إليه في رحلة تمرده واغترابه.

ب- الاغتراب الفكري والثقافي في الفضاء المكاني الغربي (الأنا) :

يشير الاغتراب الفكري والثقافي إلى حالة الانفصال والانعزال التي يواجهها الشخص عندما يعيش في بيئة غريبة فلا يستطيع التأقلم مع العادات والتقاليد والقيم الجديدة التي تسود ذلك المكان، " فهو بُعد الفرد عن ثقافة مجتمعه ومعاييره وقيمه إلا أن ذلك يختلف عن اللامعيارية لتمييز الاغتراب الثقافي بالانعزال عن المجتمع وعن الثقافة العامة التي ينتمي إليها الفرد"².

وفي الرواية يتضح الاغتراب الفكري والثقافي لدى البطل منذ بداية التحاقه بالكنيسة وهي المكان الذي كان ينظر له نظرة مقدسة فوق كل الشبهات - لكنه تعرض فيها لصدمات متتالية نتيجة لمشاهدته مواقف لم يفهمها أو لم يتقبلها في منطقته العقلي والفكري، وهذا ما جعل شعور الاغتراب يتسلل إليه مبكرا، مثل ما حصل في دير الرهبان حيث

1 - الرواية، ص50.

2- عفاف محمد عبد المنعم : الاغتراب النفسي مظاهره و النظريات المفسرة له، دراسة تطبيقية، ص 26 .

شاهد عملية تعذيب شاب دون سبب واضح، فظن (ميرسو) أنه وصل إلى هذه الحالة البائسة بسبب حرصه على العبادة والزهد، ثم عرف أنه لسبب آخر مجهول لذلك رفض (ميرسو) هذا التصرف في داخله وأغضبه بشدة لأنه لم يجد سببا منطقيا لتعذيبه.

وكانت أكبر صدماته في غرفة الشماسة بسبب ما حدث لصديقه جورج وقد أثار ذلك الفعل استغرابه واستنكاره الشديد، فتساءل عن احتمال وقوع رجال الدين في الخطيئة ليأتيه الجواب من معلمه (رجال الدين لا يقعون في الخطيئة) بعد هذه الاجابة سقط هذا اليقين واتضحت له زوايا جديدة للنظر في حقائق الأمور.

وكذلك في منزل الأرملة فقد استنكر طريقة رؤية معلمه لها وكيف يتابع حركاتها وهذا فعل بعيد عن أخلاق الكهنة والرهبان ليكتشف فيما بعد حقيقة العلاقة المحرمة بينهما، ثم سأل نفسه هل يصح أن معلمه يستغل الأرملة ويستعبد لها مقابل ما تقدمه لها الكنيسة من فتات .

وفي مشهد آخر يصف (ميرسو) طقوس تعميد الفتاة المسيحية الجديدة، فقد نقل ما فعله الكاهن بالفتاة من أفعال وأقوال ورغم أنه لم يعلق عما شاهده ولكنه لم يخف امتعاضه من هذا الطقس الذي هو أقرب للإغواء منه إلى طقس ديني خلاصته دخول شخص ما في المسيحية، ثم يزداد اغتراب (ميرسو) عند وصف طقوس صلاة القداس الإلهي، من بينها أن أبواب السماء ستفتح وأن الرب المسيح سيحضر ويتجسد في قطعة خبز وتوزع على الحاضرين لأكلها.

ثم يعود إلى المنزل فيصطدم بسخرية خاله (ديفيد) الذي يسأله عن مآل الطعام الذي نأكله؟ فيجيب جزء للجسم والباقي يتحول إلى براز، عندها يقول الخال إن طعام الكنيسة كذلك فيرفض (ميرسو) مستنكرا "جسد الرب لا يتحول إلى براز بل يبقى فينا إلى الأبد"¹ فيقرر (ميرسو) وضع قطعة من ذخيرة جسد الرب تحت السرير ثم يخاف اللعنة فيخرجها من البيت ليضعها أعلى شجرة قرب البيت، لكنه يتفاجأ بعد عدة أيام بتعفن جسد الرب

فتستبد به الحيرة والاستغراب ليومين ويطغى عليه شك في كل شيء، فاستحالت كل أفكاره السابقة إلى سراب بما يوحي إلى حالة الاغتراب الشديدة التي وصل إليها، اغتراب على مستوى الأفكار والقناعات، فيسأل معلّمه عن بعض القضايا التي كان يفتحها مع خاله ديفيد مثل كيف يشكل الرب (المسيح) على غير إرادته في شكله وأوصافه وهو رب ؟ وإذا كان المسيح ربّا فكيف يصلب أو يهان ويصرخ فلا ينجده أحد ؟ .

بعد هذه المواقف شعر (ميرسو) بالاغتراب الشديد فقرر هجر المكان واختار العاصمة باريس لعلّه يجد شيئاً مختلفاً عن الكذب والتناقض الذي يلاحظه عند القساوسة . ما يظهر من أحداث الرواية وكيف هي تطورات البطل يتأكد له أن باريس اختارها البطل لكي تكون مكان عربدته واغترابه الشديد بقراره واختياره الشخصي، لأنه فقد الثقة في كل القيم والمبادئ الأخلاقية والأفكار التي كان يؤمن بها، "أخذت الكتاب المقدس وخرجت من المنزل ونأيت به، ثم أحرقتة وتدفأت بناره"¹، كان هذا العمل هو آخر ما فعله قبل القدوم إلى باريس مدينة أحلامه، وبحرقه الكتاب المقدس يكون قد غير كل أفكاره وكفر بأفكار الكنيسة وكل ما يتصل بها من رهبان وقساوسة، لقد تغيرت حياته الفكرية كثيراً فانطلق في حياة جديدة ملامحها العبثية واللهو ومعاقرة الخمر والمخدرات، بسبب أنه لم يعد يعترف بأي قوة روحية تملّي عليه ما يفعله وما لا يفعله، هكذا نمت نزعة اللامبالاة الحادة لديه فلم يعد يمتلك أي يقين ولا يؤمن بأي شيء .

2- الاغتراب في الفضاء المكاني العربي (الآخر) :

إنّ أهم ما يميز الوطن كمكان مهم في حياة الإنسان هو الاستقرار والمكوث فيه مدى الحياة، أو لفترة طويلة منها، إذ يعد ذلك الفضاء المكاني الذي يشعر بالحرية في كنفه وبين أفراد مجتمعه لكن ما إن تظهر في هذا المكان ملامح الظلم والفساد أو أي سبب آخر يجعل الحياة فيه تجربة سيئة، إلّا ويضطر هذا الإنسان إلى هجر هذا الوطن والابتعاد عنه، وهذا ما يطلق عنه بالاغتراب المكاني وهو "مغادرة المكان طوعاً أو كرها وتكون

في الغالب لأسباب سياسية أو اقتصادية أو ثقافية¹ وعليه يترك الفرد وطنه نتيجة لعدم إيجاد راحته فيه وهذا السبب ينطبق على البطل (ميرسو) الذي جرّب كل شيء في وطنه حتى استنزفت طاقته الروحية ووصل إلى حافة الانهيار، ولهذا قرّر تجربة العيش خارج الوطن الأم .

أ- الفضاء المكاني المغلق :

يأتي المكان المغلق ليحمل مفهوم أنه "مكان للعيش والسكن الذي يؤوي الإنسان ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين، لهذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية"² وعادة ما تكون مساحته ومكوناته محدودة يعيش فيه الإنسان باختياره كالبيت ومكان العمل أو بدون اختياره كالسجن .

❖ السجن :

هو ذلك المكان المغلق الذي يشعر فيه السجين بالقيود والاحتباس ففيه تهان الشخصيات ويعذب السجين ويفقد كرامته وتذل إنسانيته ويذوق من القهر النفسي والمعنوي ما يذوق، نتيجة لتلك الإجراءات الإذلال التي يتعرض لها فيفقد الإحساس بذاته حيث ينسلخ الشخص حتى من اسمه وهويته ويتشياً فيستحيل إلى رقم من الأرقام فحسب. وفي الرواية دخل (ميرسو) السجن متّهماً بجريمة قتل - بينما كان يدافع عن نفسه أمام رجل يمسك سلاحاً أبيضاً في وجهه فقتله بالخطأ - وعلى إثر ذلك دخل السجن لأول مرة في حياته .

شعر (ميرسو) بضيق المكان وظلامه الدّامس فبات ليلته الأولى منتظراً طلوع الفجر والاستئناف وهكذا انتظر طويلاً خبر قبول طلب الاستئناف لشعوره الشديد بالغربة

1- نوزاد حمد عمر : الغربة في شعر كاظم السماوي : دار غيداء للنشر و التوزيع، عمان الأردن، ط1، 2013 ص 39 .

2- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا (حكاية بحار النقل، المرفأ البعيدة)، ص 44 .

والخوف واليأس في هذا المكان "عندما أفكر في رفض الاستئناف أتذكر آلة قطع الرأس، وكيف ستفصل رأسي عن جسدي"¹.

ثم ازدادت غربته عندما تذكر (ماري) التي هجرته رغم الصداقة التي كانت بينهما لكنه سرعان ما تخطى ذلك . وكذلك عندما رفض مقابلة القس الذي زاره في السجن بحجة أنه لا يؤمن به ولا يثق في خرافاته .

لقد كان فضاء السجن مناسبة أخرى لشعوره بالاغتراب المكاني والنفسي والاجتماعي، لأنه يعتقد أنه مظلوم وليس بمذنب ولأنه كان يدافع عن نفسه عند الهجوم عليه، كذلك لم يتحمل ظروف السجن التي عمقت من قوة إحساسه بالاغتراب، فالسجن مكان لا يحتمل .

❖ دار الشيخوخة :

لم يكثرث (ميرسو) بهذا المكان فلم يصف لنا شيئاً فيه فمئذ أن ترك أمه هناك لم يعد لزيارتها ولم يسأل عنها، إلى أن وصله خبر وفاتها دون أن يحرك ذلك الخبر ساكناً فيه، بل اكتفى بوصف ذلك الجو الجنائزي الذي لم يرق له، فكان أثناء تواجده في الجنازة متذمراً ساخطاً على كآبة المكان ساخراً من حزن المقربين من أمه، لقد تصرف مع وفاتها مثل الغرباء بل أظهر نفوراً وقسوة واضحة عندما رفض النظر إلى وجهها في التابوت وعندما قال أن المدير أخبره بمعلومات وتفاصيل صغيرة تخص أمه لكنه قال إنها أخبار لا تهمّه، وهذا يوحي ببرود العلاقة بينهما إلى درجة الاغتراب الواضح، فقد استعجل مراسيم الدفن ليباعد عن المكان سريعاً قائلاً "وأذكر جيداً فرحي عندما دخلت الحافلة إلى الجزائر أثناء عودتي لأنني وعدت نفسي أن أنام لاثنتي عشرة ساعة"² تعتبر دار الشيخوخة مكاناً غير محبوب للبطل؛ لأنه يرتبط بأمه التي لا يكن لها أي مشاعر ولا تواصل واضح بينهما .

1- الرواية، ص 64 .

2- الرواية، ص 58.

ب- الفضاء المكاني المفتوح :

الأماكن المفتوحة هي التي تكون مفتوحة على الجميع، سواء أكانت عامة أو خاصة، تتجاوز كل محدّد أو مقيدّ نحو الاتساع والتحرّر، تتميز بالانطلاق والحرية وتقضي على الشعور بالعزلة "وتختلف هذه الأماكن حسب ورودها في النص الروائي، إذ تتخذ الروايات عموماً أماكن مفتوحة على الطبيعة وتؤطر بها الأحداث مكانها".¹

❖ الجزائر العاصمة :

هي المدينة الثالثة التي عاش فيها البطل ، وقد اظهر استئناسه بالمكان منذ رؤيته لأول مرة، فاستقر بساحلها حيث جذبه البعد عن صخب المدن الصناعية الملوثة التي عتاد العيش فيها.

رغم تغيير المكان من طرف البطل لكنه مازال لم يستطع فك عزله النفسية والاجتماعية، بل مازالت ملامح الاغتراب واضحة في تفاصيل تعاطيه مع المكان وأشخاصه ومن بين هذه الأماكن الشاطئ هو أحد الأماكن التي جرت فيها أحداث الرواية ويظهر ذلك أثناء دخوله للجزائر لأول مرة وإعجابه بها وبهدوء المكان مما يدل على ارتياحه له، وعاد إلى الشاطئ بعد وفاة أمه أين استمتع بالمكان وكأنه لم يكن في جنازتها بالأمس، وانتهى تواجده بالشاطئ بيوم الجريمة عندما ذهب مع (ريمون) و(ماري) إلى خيمة صديقه (ماسو) أين التقى بالعربي أخو الفتاة صديقة (ريمون)، وانتهى هذا اليوم بقتل الشاب العربي من طرف (ميرسو) .

يبدو أن (ميرسو) يتنازعه شعوران مختلفان نحو الشاطئ، فهو في البداية اعتبره المكان الأكثر هدوءاً، الذي رآه في حياته ثم ما لبث أن تغيرت مشاعره وأصبح الشاطئ المكان الذي يحاول فيه نسيان وفاة أمه والاستمتاع بذلك في لحظة دالة عن اغتراب عاطفي رهيب يشعر به تجاه والدته إلى أن نجده قد ارتكب فيه جريمة قتل .

1- الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، نشر عالم الكتب الحديث، عمان الأردن ، مج 1، ط1، 2010، ص 244 .

❖ الصحراء بؤرة التحول (حاسي خليفة):

مع دخول (ميرسو) إلى الصحراء يكون قد دخل مرحلة جديدة في حياته، بعد أن كان على حافة الموت أنقذه الخال (ديفيد) من الإعدام وأهداه القدر فرصة أخرى في رحلة البحث عن نفسه، كانت الصحراء مكان هادئ وساكن كما يراه (ميرسو) مما يوحي بمرحلة من الاستقرار النسبي تجتاح روحه المضطربة فنجدته بدأ ينتبه للمكان وجماله ويصفه أولاً بأول.

❖ البستان :

وصف المكان بتنوع الألوان والروائح وتناسق مزروعاته وجمال النخيل؛ باسق الطول الذي يعترض الزائر للقرية ويظهر له من مكان بعيد بلونه الأخضر الداكن "وكأنه يستطلع القادمين ليخبر البلدة بقدومهم"¹ ثم يصف صورة أخرى من صور البستان ألا وهي خليط الروائح المنعشة المنبعثة من البلح والقرع وبقية الفواكه الممتزجة برائحة الرمل المبلل .

❖ السوق :

وصفه بالضيق والصغر، لكنه ركز على أنه مكان يمتاز بالهدوء والوضوح، بالإضافة إلى أن شوارع البلدة لا غموض في أركانها ولا أسرار في بيوتها، الحياة عندهم سهلة، بسيطة هذا يوحي بالألفة والأنس الذي يشعر به البطل تجاه هذه البيئة الجديدة على عكس كل الأمكنة التي ذكرها فيما سبق، حيث كان لا يخفي توجسه وريبته وشكه منها، هنا لا يشعر بذلك الاغتراب المكاني الكبير رغم أنه فعلاً غريب عن هذه البيئة .

❖ المسجد:

وصف باحة المسجد وجمال هندسته رغم بساطته ثم مادة بنائه وشكل الصومعة وركز على غرفة تعليم القرآن الكريم وصوت الأطفال وهم يتدارسون القرآن، وأهم ما جلب انتباهه في المسجد المعلم (سي لمين)، حيث يراه رجلاً مختلفاً عن الناس الذين

عرفهم "ما السر الذي يشدني إلى رجل بدوي لا أعرفه ؟ للرجال مثل ماله من قسمات لكن له شيء لا يملكه غيره من الرجال"¹ .

❖ الزاوية:

وصفها بأنها بناء ليس بالمسجد ولا بالمنزل، بني من جبس لا زخرفة ولا زينة فيه، به غرفة شرقية كبيرة يستقبل كافة شرائح المجتمع بالإضافة إلى الزوار الغرباء، وما جذب انتباهه أكثر أن سي لمين هو الذي يسهر على راحة من يأتي لهذا المكان " كلهم يجدون عند هذا البدوي بغيتهم، كأن قلبه واحة معطاءة لا ترد أحدًا"²، وكأنه يقارن بين الكنيسة والأديرة كمراكز تمثل الدين المسيحي وبين المساجد والزاويا كأمكنة تمثل الدين الإسلامي لقد قارن بطريقة غير مباشرة بين رجال الدين المسيحيين وبين من يمثلون الدين الإسلامي، ليبين شاسعة الفرق بين الديانتين ومن ينتمي إليهما، ويوحى هذا كله إلى تلاشي اغتراب البطل في هذه البيئة الصحراوية البكر، وبداية رجوعه للفطرة الإلهية.

❖ البادية (التيه) :

في هذا المكان وجد البطل (ميرسو) روحه التي بحث عنها طويلا وشعر بالسلام الروحي والصفاء الذهني " كانت الصحراء أوسع مما تصورت وأنقى وأهدى مما تخيلت"³، لقد انسكب الصفاء من الطبيعة إلى روح (ميرسو) في هذه الخلوة والعزلة التي فرضت عليه نتيجة ضياعه عن أصدقائه.

رغم ذلك لم يشعر البطل بالفزع؛ بل تعلم في هذا الطرف أشياء كثيرة لم يكن يعتقد أنه سيحتاجها يوما، وفي وسط عزلته هذه لم ينسى (مريم) مما يوحى أنها كانت ترمز للفطرة السليمة للإنسان وطهارة الروح وهي الأمور التي شعر بها في هذه البقعة من العالم، أما توهانه في أعماق هذه الصحراء بمفرده إنما يرمز للتيه الفكري والروحي

1- الرواية، ص 72 .

2- الرواية، ص 100 .

3- الرواية، ص 107 .

الذي كان يجتاحه فيما سبق من حياته " بعد ساعات من التخبط جربت كل الاتجاهات لكن بطريقة عفوية وبلا قياس (...) وهكذا إلى أن سكن اليأس قلبي"¹.

مثلما يئس (ميرسو) في رحلة بحثه عن الحقيقة يئس كذلك في الصحراء من الحياة وفي كلا الحالتين كان على حافة الموت عدّة مرات، هكذا يشعر الإنسان الملحد الذي يعيش بلا هدف فمنهم من ينتحر ومنهم من يصاب بالجنون، لكن (ميرسو) الآن وبعد ملازمته الصحراء وهوامها لمدة أيام وشهور أصبح شخصا آخر، نراه يحاول إنقاذ نفسه من هذا التيه لكنه لم يخفي عتبه على نفسه عدم معرفة طريق العودة " لم أنتبه من أي الجهات قدمنا إلى هذا المكان"² وهو سؤال يطرحه كل من يفكر في هذا الوجود، من أين أتى ؟ وإلى أين يتّجه ؟ إنه السؤال المهم الذي يبدأ كل ضال يتلمس به طريق العودة .

بدأ (ميرسو) يستخدم غريزة البقاء لديه للحفاظ على حياته، فطوّع الصحراء ومواردها الشحيحة في معركة البقاء فكان في كل مرة يراقب هوام الصحراء وكيف تؤمّن عيشها في هذه الطبيعة القاسية فيقف مما يرى فكان يتساءل عن سر هذه الدقة في حركاتها وتصرفاتها ومصدر هذا الذكاء الذي تتمتع به هذه الكائنات فيتساءل من أين لها هذا ؟ وكيف عرفت كل هذه القوانين التي تحكم الطبيعة ؟ وما مصدر هذا التناسق العجيب بينها وبين بيئتها ؟ إن كان في أسلوب طعامها أو كيف تحافظ على بقاءها أو كيف تتأقلم مع شدة الحر هل هذا كله وليد الصدفة ؟، (الصدفة لا تلد النظام أبدا) ³ إن ما يراه بأم عينيه شيء منظم جدا، لا يوجد مكان للنشاز هنا، أي صدفة تعالج كل هذه التفاصيل وتدرس كل هذه الاحتمالات لا بد أنها قوة عليا وإرادة سابقة وراء هذا كانت الصحراء الخالية البعيدة عن البشر وعن الدنيا بأكملها فرصة سانحة لصفاء الذهن ولحظة رائعة للإنسان أن ينفرد بخالقه، وقد فعل (ميرسو) ذلك حتى وإن لم يكن على تلك الدرجة من

1- الرواية، ص 112 .

2- الرواية، ص 114 .

3- الرواية، ص 125 .

الاستعداد لكنه استطاع أن يرى ربه من خلال مخلوقاته على غرار (حي بن يقظان) شخصية ابن الطفيل الأندلسي الذي اهتدى لربه وهو يعيش منفردا على جزيرة نائية ليس بها بشر، استطاع (بقي) أن يستيقظ كما استيقظ (حي) قبله، لقد وجد نفسه عندما وجد ربه "بعد أن أدركت الحقيقة، أبطلت ما كنت اعتقده في غربة الإنسان عن هذا الوجود، فلو كان الإنسان غريبا عن هذا العالم لما كانت الأشياء متناسقة معه، إن العلة في الإنسان نفسه هو الذي لا ينصت جيدا لهذا الوجود"¹.

انتهت رحلة التيه وانتهى معها اغترابه، عرف (بقي) نفسه وعرف ربه عندها تذكر كلام (سي لمين) الذي أقرأه آية ﴿أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾²، لأول مرة يجد نفسه مع إلهه مباشرة ليس بينهما وسيط فلجأ إليه باكيا خجلا لينقذه من الموت مسموما في صحراء جرداء "شعرت بالموت أخذ يسري في جسدي، رفعت رأسي، نظرت نحو السماء وقلت : إلهي وانفجرت باكيا....."³.

ترى ما هو سبب بكاء (ميرسو)، هل هو خوفه من الموت ؟ أم شيء آخر شعر به لما وجد نفسه مع حضرة إلهه العظيم، لقد كان لقاءً مفعما بالحب والرحمة والسكينة التي طالما احتاجها وتاقت إليها روحه، إنها مشاعر العودة من التيه والضياع الى كنف رب عظيم.

ج- الاغتراب الفكري والثقافي في الفضاء الصحراوي (حاسي خليفة) :

تحدثنا عن الفضاء الصحراوي في الفقرات السابقة، وكيف كان تعاطي (ميرسو) مع المكان الصحراوي ابتداء بساحة السوق وانتهاء بالمنطقة البرية التي خلا فيها فانعزل بمفرده، تعتبر منطقة (حاسي خليفة) فضاء مكاني مختلف جدا عن ثقافته الغربية، فقد تغير عنه كل شيء هنا وقد جلب انتباهه البساطة والهدوء والاستقرار الشديد الذي لم يألفه

1- الرواية، ص 130 .

2- سورة النمل، ص 62.

3- الرواية، ص 132 .

سابق، هنا وجد الطمأنينة والسكينة، حيث لا عمارات ولا مركبات تنفث دخانها السام، لا ضجيج ولا زحام، كان المكان كله عبارة عن صدمة ثقافية له، البيوت مبنية بالجبس، الحيطان قصيرة جدا إلى درجة أنك ترى وتسمع ما يحدث بالداخل، الأبواب لا تقفل " وكأن هذه البادية قد تصالحت مع شطارها" ¹ هنا يكرم الضيف بما جادت به الطبيعة من خيرات الأرض وبما تعيش في البادية من أنعام فيوضع أمامه صحن من تمر وقدر من لبن .

وفي مشهد آخر يصف (ميرسو) الأفراح المحلية بما يسمى (بالزرنه) وهي الأهازيج الشعبية الممزوجة بآلة الدف والمزمار المحلي لإعلان حفل الزفاف، مع طلاقات البارود المدويّة التي تجلب الكبير والصغير للتفرّج والاستمتاع، ثم ينقل رقصة (الزيقايري) المحلية التي تعتمد على قوة الجسد والقفز بأقدام مرفوعة إلى الأمام تارة وإلى الخلف تارة أخرى.

وفي مكان آخر يسخر مما رآه عندما قيل له عن حديث الرجل الدرويش مع مخلوقات من عوالم أخرى (الجن) فرأى أن أفكارهم ضاربة في الجهل والتخلف ورد ذلك إلى القرآن دون أن يكلف نفسه عناء البحث في الموضوع

ويعجب بالبلدة المكتفية ذاتيا إلى درجة صنع عصيرها بنفسها، إنه عصير الثمر المخلوط بالأعشاب (الوزوازة)، ثم ينتبه لجلسات كبار السن لقتل الوقت الطويل بأحد الألعاب الشعبية البسيطة التي تلعب بالحصى أو ببعر الجمال على حافة الطرقات فتجدهم يلعبون لساعات وساعات لا تسمع إلا أصواتهم تعلو أحيانا عند تحايل أحدهم عن الآخر لكنه قدمها كمظهر سلبي من مظاهر هذه الثقافة الشعبية نظرا لخسارة الوقت فيها، وهنا يقول على لسان (سي لمين) "هؤلاء أعمارهم أهون شيء يمتلكونه، لا قيمة للعمر عندهم لذلك

هم ينفقونه في اللعب بالحجارة على الرمل، وهم لا يدرون أنهم سيكونون ذات يوم رملا ولن ينفعهم لهوهم هذا لكنهم يصرون ويدمنون على اللعب"¹

ثم انتبه لحلقات الصخب والكلام الكثير الذي يصل إلى درجة العراك وحلقات الصمت من الشيوخ أيضا ليحل تلك المشاهد ويضعها في خانة التصرفات السلبية التي لا طائل من ورائها، إلا فئة قليلة منهم تصمت وقارًا والبقية قهرهم الزمن والجأهم للتصرف هكذا حفاظا على صحتهم.

لقد نقل الروائي (عبد الرشيد هميسي) على لسان بطله (ميرسو) أو (بقي) كل مشاهد الحياة الشعبية لأهل الصحراء ومدينة الوادي خصوصا ومنطقة حاسي خليفة بالضبط، بالرغم أن الكثير مما ذكر يعتبر قد زال حرفيا أو في طريقه للزوال، لكنه وبشكل أدبي وفني رائع وثقها للأجيال القادمة، فغرفة (السباط) مثلا ذات الأبواب الثلاثة والتي لا تكون إلا في البيت العربي الذي تتوسطه باحة ولا تتجه أبوابها إلا للجهة الشمالية، هي أحد هذه المظاهر الزائلة التي خلّدتها هذه الرواية .

كما اصطدم (ميرسو) ثقافيا بملامح البيئة الصحراوية فقد هزم فكريا أيضا في هذه البلدة النائية على يد معلم القرآن (سي لمين) الذي أفحمه في عديد المرات التي حاول فيها عبثا أن يبطل فكرة (الله) ويثبت فكرته (الإله الخرافة) في البداية كان يشعر تجاه (سي لمين) بشعوران متناقضان، الانجذاب ثم السخرية، أما الانجذاب فمجهول السبب والسخرية بسبب فناء عمره في تدريس القرآن وهو(خرافة) في رأي (ميرسو)، ثم استغل هذا الأخير فكرة حديث (العروم) مع الجن ليثبت خرافة (الإله) ثم تناقشا عن معنى اسم (باقي) ليقول المعلم أن اسم باقي هو أحد صفات الله ثم أخبره ما القرآن وما هو مصدره، ارتبك من إجابات المعلم " إن في كلامه فلسفة جديدة عليّ، متسامية على التراب وشؤونه"²، لم يتوقع (بقي) هذا الكلام الثقيل لكنه مازال متمسكا بالحاده إلى النهاية رغم أنه كلام حلو

1- الرواية، ص98،99.

2- الرواية، ص 76 .

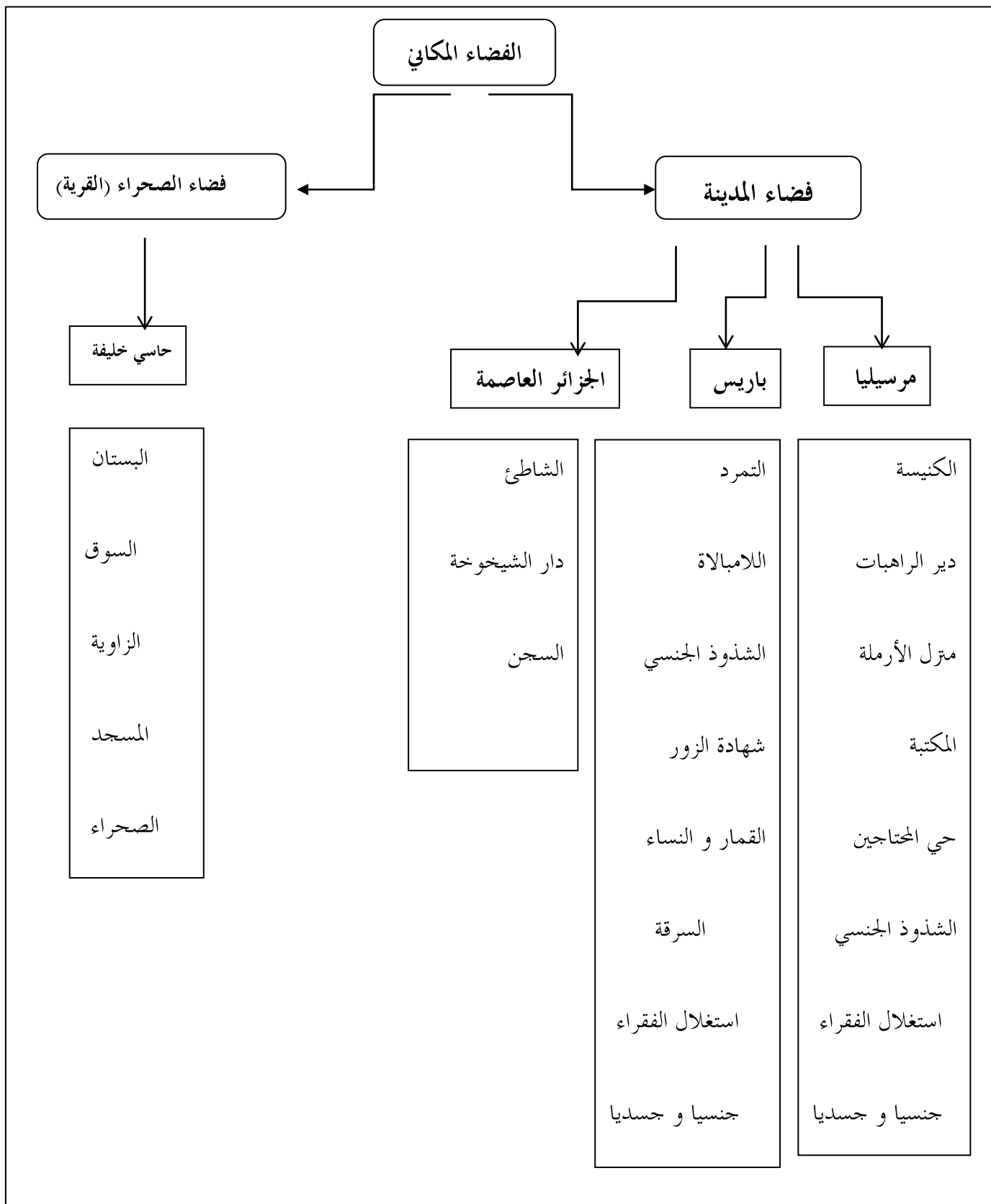
وقريب إلى النفس "لكني أرفضه وسأبقى رافضا له وإن أقام ألف برهان على صحته"¹ وفي جلسة أخرى اعترف للمعلم بأنه ملحد، وفي هذه اللحظة أخبره المعلم أن له إله وهو الهوى، اندهش لسماع هذه الكلمة لأول مرة لكنه كابر وغطى على شعوره، لكن المعلم أقنعه أن لكل شيء جوهر وعرض لم يختره بنفسه فالعالم أيضا ينطبق عليه نفس المفهوم بما أنه مجموعة من الأشياء، وهكذا فإن هذه الأشياء المحدثّة لا بد أن لها من أحداثها، وهذا "يعني أن هناك قائدا لا قائد فوقه"² عندها سكت (ميرسو) وقد خذلته أفكاره ومنطقه عن مواصلة الحوار مع المعلم وأضاف إذا أدرك العقل وجود الله فعليه التوقف عن التفكير فيما وراء ذلك وإلا ضلّ وأضلّ، لأن العقل أعجز من أن يجيب على ذلك .

ثم ينتقل بنا السرد لمشهد آخر بين (ميرسو) و(مريم) التي تتحدث معه طويلا عن كيف ربطها أبوها بفكرة وجود الله بواسطة الدعاء، فكان دعاءها يستجاب ولا ترى المستجيب، يبدو أن (ميرسو) مازال على عناده، اذ قرّر أن يهزم المعلم (سي لمين) من هذا الباب، فسأله عن هذا الإله الذي يقدر الشر، لكن (سي لمين) أكد له أنه اعترف بالوحيته مادام قد اعترف بوجوده، ثم أقنعه بحكمة تقدير الخير والشر على الناس، وأن الخير هو الأصل والشر عارض .

نستخلص أن هذا الاختلاف الثقافي والفكري الذي وجده البطل في هذه البيئة فتح له أبوابا لتفكير في جوانب لم تكن تخطر له على بال ،مما هدا من ثورته وتمرده ضد أي ارتباط بفكرة وجود خالق لهذا الكون بل بدأ يفكر جديا في هذه الحقيقة بعدما تأثر ببيئة مختلفة عنه كما وجد نفسه أمام حقيقة وجود الله بعد التيه في الصحراء .والمخطط الآتي يوضح ذلك:

1- الرواية، ص 76 .

2- الرواية، ص 81 .



مخطط توضيحي رقم(4): للفضاء المكاني في رواية الملحد

ثانيا: الاغتراب في الزمنية السردية:

1- المفارقات الزمنية وملامح الاغتراب:

تعرف المفارقات الزمنية بأنها: " التناثر الحاصل بين النظام المفترض للأحداث، ونظام ورودها في الخطاب: إنّ بدء السرد من الوسط مثلاً، ثم العودة من جديد إلى أحداث سابقة يعد مثلاً للمفارقة الزمنية. إن المفارقة الزمنية في علاقتها بلحظة الحاضر، هي اللحظة التي يتم فيها اعتراض السرد التتابعي الزمني لسلسلة الأحداث، لإتاحة الفرصة لتقديم الأحداث السابقة عليها، ويمكن للمفارقة الزمنية أن تكون استرجاعاً (عودة إلى الوراء). أو استباقاً".¹ أي تتنبأ مما سيحدث مستقبلاً.

ويعرفها (جيرار جينيت) في كتابه خطاب الحكاية " أنها تعني دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما، مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية، في الخطاب السردى بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة وذلك لأن نظام القصة هذا تشير إليه الحكاية صراحة".²

فالمفارقات الزمنية تعني الخروج عن الترتيب الطبيعي للزمن سواءً بعودة الأحداث إلى الوراء، أو التوقف لحظة المستقبل.

وخلاصة القول أن المفارقات الزمنية تبغي مجرد لعب بالزمن، يستطيع الروائي من خلالها التلاعب بالزمن مما يجعلها تضيف للرواية جمالية.

من هذا المنطلق سنتطرق في دراستنا إلى الاسترجاع والاستباق في الاغتراب كالتالي:

أ- الاغتراب والاسترجاع :

يعتبر الاغتراب والاسترجاع من المفاهيم الأساسية في السرد، وتتعلق بما يعرف بـ: (المكان) و(الزمان) في القصة. يمكن وصف الاغتراب بأنه الحالة التي يواجهها

1 - فضل يحي زيد، الآداب لدراسات اللغوية و الأدبية، مجلة علمية فصلية محكمة، جامعة إب ، الجمهورية اليمنية، العدد الثاني، 12 ديسمبر 2021، ص 480.

2 - جرار جينيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وعمر حلي و عبد الجليل الأزدي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ، مصر، ط2، 1997، ص 47.

الشخص عندما يشعر بالانفصال عن مكانه الأصلي أو بيئته المألوفة، وذلك بسبب العوامل المختلفة مثل الهجرة أو الحرب أو الانفصال عن الأسرة أو الأصدقاء.

يمكن تصويره بالعودة إلى المكان الأصلي أو البيئة المألوفة وفي السرد يستخدم هذا المفهوم لوصف حالة الشخص الذي يعود إلى مكانه الأصلي بعد فترة من الاغتراب، وقد يواجه صعوبات في الاندماج مرة أخرى في المجتمع الذي تركه لفترة طويلة.¹

والاسترجاع من أبرز التقنيات التي استفادت منها الرواية، ويسعى من خلالها المبدع إلى استنكار المحطات التي وقعت زمن الماضي وبهذا الصدد يقول حسن بحراوي " أن كل عودة للماضي تشكل بالنسبة للسارد استنكار يقوم به لماضية الخاص، ويحلينا من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة. ومن بين الأنواع الأدبية المختلفة تميل للرواية، أكثر من غيرها، إلى الاحتفال بالماضي واستدعائه لتوظيفه بنائياً عن طريق استعمال الاستنكارات التي دائماً لتلبية بواعث جمالية وفنية خالصة في النص الروائي ".²

رواية (الملحد - بقي بن يقطان-) لكايتها عبد الرشيد هميسي كغيرها من الروايات التي تحتوي على استرجاعات، وقد تجلّى الاسترجاع في مقاطع عديدة تمثلت في ذكريات (ميرسو) التي جمعتها مع أمه في مرحلة طفولته الأولى وحلم أمه أن يصبح قديساً في المقطع: " أمي أيضاً كانت تناديني بالقديس، قالت لي أنها تشم في ريح الطهارة والقداسة وأنها عندما كانت حاملاً بي كثيراً ما يزورها ملك نوراني يخرج من أحشائها وليداً أبيض له نور وجناحان "³، ثم يواصل كلامه " فكانت أمي على يقين أن الذي في بطنها قديس

1 - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمن - الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2009، ص 121.

2 - المرجع نفسه.

3 - الرواية، ص 12.

عظيم، لذلك يوم ألبستني ثوبًا جديدًا خاصًا بالكنيسة وقد كان عمري عشر سنوات قالت لي والدّمع يجري على خديها: ((بُني فلتكن قديسًا عظيمًا))¹.

كما نذكر استرجاعا آخرًا يتذكر فيه البطل الحياة التي كان يعيشها قديما وكيف تغيرت: " وهل يبقى من الصوفه شيءٌ إن مرَّ على طلاقها عشر سنوات؟! في هذه السنوات العشر غيّرت كل شيء في حتى استحلتُ إنساناً آخر، في قناعاته، وفي عاداته، وفي طريقة تفكيره، حتى مزاجي تغير، ولقد غدوت أحب الحياة أكثر لذا لم أفرط في أي شيء انتهيته "².

يستخدم الاسترجاع في السرد لإضفاء وإظهار التأثير الذي تحدثه الظروف الخارجية على الشخصيات.

وهناك استرجاع آخر وذلك بعودته إلى ماضيه في السجن " لكن مع مرور الوقت رُوّضته على الحرمان، فاستبدّ بنفسه ضيقٌ وضجر "³. وقوله: " وفي السجن تتشابه الأيام ويصير الزمن مكرورا، وكأنّ الزمن يفقد معناه "⁴ وفي مقطع آخر: " تركت في السجن وحيداً منعماً بلذة اللامبالاة التي انفجرت داخلي كينبوع لإكسير لذيذ "⁵. يعني أن البطل كان يرى أيامه في السجن متشابهة فلا فرق بين يوم وآخر وهذا ما يكرس شعور الاغتراب.

وفي موضع آخر: " ذكرني عتبي هذا بعثبي على نفسي عندما كنتُ في السجن ولم أستطع أن أنقذ نفسي منه، وتمنيت لو أنني كنت مهتماً بقصص الهروب من السجون "⁶. فهذا الاسترجاع يبين لنا ما عاشه من يأس في السجن إلى أن وصل به الحال للتفكير بالهروب.

1 - الرواية، ص 12.

2 - الرواية، ص 41.

3 - الرواية، ص 61.

4 - الرواية، ص 61.

5 - الرواية، ص 65.

6 - الرواية، ص 114.

كما نأخذ استرجاعاً آخرًا يتذكر فيه الشخصية الخيالية (مريم) في قوله " عند الليل ذكرت مريم فهاج الشوق، كالنار لا تزيدها النسمة إلا تهيجًا، تذكرت حديثها عن الصحراء وأسرارها، وها أنا اليوم مملوء بها أكاد أنفجر ".¹ وأيضًا " فتذكرت ابنة مختار التي ظننت أنها كانت تراقبني قبل بضع سنين ".²

فجميع هذه الاسترجاعات جاءت لتسد ثغرات زمنية سابقة، وتفسر وتعلل الأحداث الراهنة،

وظاهرة الاغتراب في الحاضر تجعله يعود إلى الماضي لاسترجاع الذكريات لسد ثغرة نفسية أو تضميد جراح سابقة.

ب- الاغتراب والاستباق :

يشير إلى استخدام الكاتب لتقنية السرد التي تتضمن إعطاء معلومات مسبقة للقارئ عن الأحداث المستقبلية أو النتائج المتوقعة قبل وقوعها في الرواية.

والاستباق هو التنبؤ بأحداث مستقبلية " فإذا كان الاسترجاع عودة من الماضي، فالاستباق على النقيض من ذلك وهو القفز إلى المستقبل وهو مخالفة السير زمن السرد، يقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد ".³

وفي حالة الاستباق، يتم استخدام هذه التقنية لخلق تشويق وإثارة للاهتمام بالأحداث التي ستحدث، ولإضفاء جو من التوتر والغموض على الرواية. ويمكن أن يتضمن الاستباق الأحداث التي تحدث في المستقبل البعيد، أو حتى الأحداث التي تحدث في نفس اللحظة التي يتم الحديث عنها في الرواية.

1 - الرواية، ص 128.

2 - الرواية، ص 74.

3 - سهام علي سرور، الزمن في سرد سهيل ادريس، مجلة ثقافية فصلية عود الند، الأردن، العدد 87، 2013، ص 20.

ومنه نستنتج أنه يستخدم مفهوم الاغتراب في السرد لوصف حالة شخصية المجردة من محيطها الاجتماعي أو الثقافي المعتاد، والتي تمنحها تجربة جديدة وغريبة، وتفتح أمامها آفاقاً جديدة.

وغالباً ما يتم التعامل مع هذا المفهوم في السرد من خلال تصوير الشخصية المنفصلة عن مجتمعها وثقافتها، وكيف تتعامل مع التحديات والمشاكل الناجمة عن هذا الاغتراب، وكذلك الآثار النفسية والعاطفية لهذه التجربة على شخصيتها وتطورها الشخصي.

وتعرفه مها حسن القصراوي بقولها: " هو مفارقة زمنية سردية تتجه إلى الأمام بعكس الاسترجاع والاستباق تصوير مستقبلي لحدث سردي سيأتي منفصلاً فيها بعد إذ يقوم الراوي باستباق الحدث الرئيسي في السرد بأحداثه أولية تمهد للآتي وتمهد القارئ بالتنبؤ واستشراق ما يمكن حدوثه ¹. " بمعنى أن الاستباق توطئة لما سيحدث أو حكي الشيء قبل حدوثه.

ونجد مواضع الاستباق قليلة بعض الشيء مقارنة مع الاسترجاع ونذكر البعض من المقاطع الاستباقية الواردة في الرواية وذلك بقوله: " لأنني بالضرورة سأموت ولو بعد عشرين سنة أو ثلاثين، بما أننا سنموت فلا معنى للطريقة التي سنموت بها ولا للزمان الذي سنموت فيه ². " وفي هذا الاستباق يتنبأ البطل بأنه حتماً سيموت وأنه حتى ولو عاش عشرين عام أو ثلاثين فإنه سيموت وأنها غير مهمة الطريقة التي سيموت بها ففي الأخير النهاية واحدة وهي الموت.

نجد استباقاً آخرًا حاضراً وهو فيما يتمناه ويزعم البطل على تنفيذه حيث يقول: " زورت في نفسي إن نجوت من الصّحراء لأحدثن مريم عن أسرار الصحراء سرّاً سرّاً،

1 - مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط 1، 2004، ص 211.

2 - الرواية، ص 64.

وعن شوقي لها الذي يتعاضم ليلة بعد أخرى، و لأخلفن الليالي التي قضيتها من دونها بليالي أخرى عامرة بالوَجْد.¹ ، ففي هذا المقطع يتنبأ بالمستقبل. فكل هذه الأقوال تدل على ترتيب وتنظيم شيء ليحدث لاحقاً فهو غير موجود في الحاضر وقد يحدث مستقبلاً وهو أراد أن يخبرنا به مسبقاً.

وفي الأخير نستخلص أن الاسترجاع احتل مساحة كبيرة داخل صفحات الرواية على العكس من الاستباق الذي كان ضئيلاً جداً ويكاد ينعدم.

2- الديمومة وملاحم الاغتراب:

يطلق عليها " مصطلحات متعددة مثل: السرعة، المدة، الديمومة، وتيرة السرد، الايقاع وتعني تلك العلاقة الناتجة عن عرض زمن الأحداث الذي يقاس بالشهور والسنين على زمن النص الذي يقاس بالكلمات والسطور".²

ويقصد بها " العلاقة التي تربط طول الخطاب وزمن القصة يقول تودوروف : " ومن جهة نظر المدة يمكننا أن نقارن بين الزمن الذي من المفروض أن يمتد فيه الفعل الروائي المقدم وبين الزمن الذي تحتاجه لقراءة الخطاب الذي يستدعيه هذا الفعل ".³

أي هي تقنية تراقب تصارع الأحداث أو سرعة القص أو تباطؤها أو جمودها. وهذا من خلال دراسة العلاقة بين زمن الحكي وطول النص بالجمل والصفحات.

أ- المشهد الحواري (الحوار وتجلي الايديولوجيا) :

" ويقصد به المقطع الحواري الذي يأتي فيه تضاعيف السرد ".¹ ويقصد به المقطع الحواري، حيث ينقل إلينا الراوي تدخلات الشخصيات كما هي في النص محافظة على صيغتها الأصلية.

1 - الرواية، ص 128.

2 - ناصر عبد الرزاق الهوافي، القصة العربية، المصدر الإبداع ، دار النشر للجامعات، مصر، ط 3، 1982، ص 157.

3 - تودوروف تيزفطان، الشعرية، ترجمة شكري المبحوث ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، دار البيضاء المغرب، ط2، 1990، ص 48.

وهو تقنية جد مهمة في الرواية، وقد تنوع المشهد بين الداخلي (المونولوج) وهو خطاب بين الشخصية ونفسها وآخر خارجي وهو ما يدور بين الشخصيات، ويمكن حصر المشاهد الحوارية في رواية الملحد في الآتي:

❖ الحوار الداخلي (المونولوج) :

وهو "حديث شخصية إلى ذاتها، والغرض منه أن ينقلنا الروائي إلى الحياة الداخلية لتلك الشخصية، فالمونولوج حديث لا مستمع له لأنه حديث غير منطوق ويعد المونولوج أداة للحوار مع الآخر الذاتي".²

وفي مفهوم آخر للحوار الداخلي نجد أنه: " حوار يجري داخل الشخصية ومجاله النفس أو باطن الشخصية ويقدم هذا النوع من الحوار المحتوى النفسي والعمليات النفسية في المستويات المختلفة للانضباط الواعي، أي تقديم الوعي دون أن تجهر الشخصية في كلام ملفوظ دون أن تلتزم بالترتيب النحوي والمنطقي للكلام".³

وقد وظف (ميرسو) المونولوج أو الحوار الداخلي مع نفسه وهو حديث أحد الأشخاص الرواية مع نفسه لنفسه، ومن نماذج الحوار الداخلي نجده يقول: " لقد ظننت أنني بتمّردٍ سأجد ذاتي، وأبرز بها للناس وضّاحة، ولم أدرِ أنني كنت أذيعها وأضيعها، كنت كالذي يريد أن يرى للناس قبضة رماد في يوم ريح. رغم كل ما حدث، ها هو الله ينقذني من نفسي ويعيدني إليه متناسياً عتّوي وفجوري، فكيف لا أحبه! إني الآن أشعر بشيء لم أعهده من قبل، أشعر أن الله أقرب إليّ من قلبي".⁴

يتجلى في هذا المقطع حوار (ميرسو) ونفسه وهو في فكرة ابتعاده عن الاله وتوقف حدة الاغتراب وأن الله موجود وقربه وكل ما كان عليه من تمرد وسخرية على

1 - حميد لحداني، بنية النص السردى، المركز الثقافي العربى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1990 ص 74.

2 - يحيى العبد الله، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر جلون الروائية، ص 218.

3 - هيام شعبان، السرد لروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي، الأردن، د ط، 2004، ص 220.

4 - الرواية، ص 134.

الله ولأنه في الأخير الله سبحانه هو الذي أنقذه من الصحراء ومن نفسه التي كان في حالة اغتراب معها.¹

❖ الحوار الخارجي (Dialogue) :

" وهو الذي يخرج من أفواه الشخصيات في تماس بعضها ببعض الآخر ضمن سير أحداث الرواية، وفي تمييز بعض شؤونها ضمن ذلك وفي التعبير عن ردود أفعال بعضها تجاه البعض الآخر وتجاه الأحداث والوقائع وما إلى ذلك ".
" ويتحقق حين: تتناوب فيه شخصيات أو أكثر والحديث في إطار المشهد داخل العمل القصصي بطريقة مباشرة ".²

فالحوار إذن هو ذلك: " الذي يدور بين شخصين أو أكثر في إطار مشهدي داخل العمل الأدبي بطريقة مباشرة أطلق عليه تسمية الحوار التناوبي، أي الذي تتناوب فيه شخصيتان أو أكثر بطريقة مباشرة ذلك أن التناوب هو السمة الإجرائية الطاهرة عليه ".³
ويتبين لنا من خلال هذه المفاهيم أن الحوار الخارجي هو حوار يدور على لسان شخصيتين أو أكثر.

يرد الحوار الخارجي فيما وقع من حوار بين " بقي " ومعلم القرآن والذي كان يجادل في أمر وجود الله وكيف كان يسخر وتعجبه على الصبر الذي أبداه رغم استفزازه حيث يقول: "ثم طلب مني قائلاً: ((إلهي جلّي حدثني أفْت عن إلهك)). صدمني طلبه".⁴
وفي نفس الحوار أيضاً قال: "فقلت له: ((الذي ستسمعه مني يبقي سرّاً؟)). فقال: ((نعم يبقي)). فقلت له: ((أنا ملحد، كافر، لآله لي)) كنت أظنّ أنه سيغضب أو سيحثوني بالتراب على وجهي أو سيتفل عليه، (...) واكتفى بالقول " بل إلهك هوأك ".⁵

1 - هيام شعبان، السرد لروائي في أعمال إبراهيم نصر الله ، ص 213.

2 - المرجع نفسه، ص 214.

3 - الرواية، ص 79.

4 - الرواية، نفس الصفحة 79.

5 - الرواية، ص 79.

وفي حوار آخر له مع معلم القرآن وهو يحاول أن يقنعه بأنه لا وجود لإله أو الله وفي كل مرة يستوقفه معلم القرآن (سي لمين) بشواهد وبراهين تثبت له ما يقوله حيث يقول: " كل قائد يحتاج إلى إذن من قائده الذي هو أعلى منه، هل تنطلق الرّصاصة؟

فقلت: لا فقال: ((وإذا انطلقت الرّصاصة، ماذا يعني لك هذا؟)).

فقلت: ((هذا يعني أن هناك قائلاً لا قائد فوقه أصدر حكم إطلاق الرّصاصة)).

فقال: ((نظير الرّصاصة في هذا المثال هو العالم، وبما إن العالم أحدث فإن هناك إلها لا إله فوقه شاء أن يخلق (يحدث) هذا العالم)).. ثم سكت وتركني مبدد اليقين، ضائعاً في أرض بكر لم أطأها من قبل ¹!

" ثم قال لي في صوت فيه خشوع: ((بعد أن يدرك العقل هذا لا بدّ أن يتوقف عن التفكير فيها وراءه وإلاّ ضلّ وأضلّ فإله ليس كمثله شيء ..))" ².

ب- الوقفة الوصفية (الوصف والتأمل):

ولها عدة " مسميات، كالاستراحة والسكون، وظيفيتها الإبطاء المفرط في عرض الأحداث، حيث يهتم الراوي بنقل صورة المكان والأشياء وملامح الشخصية وأدائها ³. " وتتعلق بالمقاطع التي تتوقف فيها الحكاية وتغيب فيها الحكاية وتغيب عن الأنظار، ويستمر الخطاب السارد وحده إن الوقفة إذن اختلاف زمني غير سردي ⁴.

" وتتمثل الوقفة الوصفية بمساحة الاستراحة التي يتوقف فيها السرد فاسخا المجال لآلية الوصف بالعمل والتصوير والتدقيق في فضاء المكان، حين يصل السرد إلى منعطف

1 - الرواية، ص 81.

2 - الرواية، ص 82.

3 - بان البناء، القواعد السردية، دراسة في الرواية الأسلوبية، المعاصرة، عالم الكتب الحديث، دار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط 1، 2009، ص 82.

4 - جبرار جينيت وآخرون، النظرية السرد، تر، ناجي مصطفى، الدار البيضاء المغرب، ط 1، 1989، ص 127.

حكائي يتوجب التوقف من مسح الموجودات السردية مسحا وصفياً وتتعلق بالمقاطع التي تتوقف فيها الحكاية وتغيب عن الأنظار ¹.

وتعد الوقفة الوصفية من أهم تقنيات تبطئ السرد، فهي تمثل بدورها مساحة للاستراحة التي يتوقف فيها السارد وذلك من خلال فسح المجال لآلية الوصف والتصوير، حيث يصل السرد إلى منعطف يتوجب عليه التوقف وتصادف هذه الوقفات الزمنية أثناء الوصف أو خواطر، ويسميتها جيرار جينيت الوقفات الوصفية ².

والرواية تتضمن وقفات وصفية لعبت دوراً في إبطاء زمن السرد وأهم هذه الوقفات تتمثل في المقاطع التالية:

ففي أول مقطع كان البطل يصف لنا المكان في قوله " سرّحت بصري فإذا الصحراء لا نهاية لها، الرمل يشكل خطوطاً محدبة ملتوية وعابثة، تفرقت فيه نباتات بلون أخضر مغير، سمى لي مختار بعضها: الحلفاء ذات اللون الأصفر والأخضر، وشجرة (الزيتا) التي سنقتلها لأن النار المتقدة من حطبها قوية ودائمة " ³.

ومن خلال هذا المقطع من الوقفة فإن الوصف يبني على الرؤية البصرية للموصوف فهو في هذا يصف الصحراء وجزئياتها (الرمال - مساحتها - النباتات - الألوان ...) وبهذا إبطاء وتيرة السرد.

وفي مقطع آخر من الوقفة الوضعية عندما كان يصف (ميرسو) صديقه " سيمون " في قول: " وفي مقر الجريدة تعرفت على " سيمون "، كانت شابة في الثانية والعشرين من

1 - محمد صابر عبيدي، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دراسة في الملحمة الروائية، الكتب العلمية، الأردن، دط، 2012، ص223.

2 - إدريس بودية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، دار الجسور للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2014، ص 76.

3 - الرواية، ص 107.

عمرها، لها عيان خضراوان، وعنق طويل، شعر أصفر. كانت مملوءة بالحياة، لا تهادن أحدًا حرمها حقها، تؤمن - مثلي - بأن الحرية أساس كل شيء " ¹.

وفي مقطع آخر يصف أشياء أو أماكن نجد يصف المسجد عندما ذهب إلى حاسي خليفة يقول " أما المسجد فقد كان من جبس مطلي باللون الأبيض، له صومعتان تتوسطها قبة كبيرة، وصومعة طويلة نأت عنهن قليلا، وفوق القبة هلال من حديد " ².

ونجد مقطع آخر يصف فيه البستان والفواكه والنخيل والأشجار " في البستان نخل كثير، وخليط الروائح المنبعثة منه تتعش، البلح، والقرع، والفلفل، والبطيخ، والعنب والتفاح والرمل المبلل... أما القمر فقد كان ينشر ضوءه الفضي على النخيل والأشجار كأنه يبسط سلطانه عليها " ³.

ونجد أيضا في الرواية وصف للحيوانات أو الحشرات ويقول في هذا " أمسكت جربوعا تأملته، كان لطيفا، شعره، رمادي، عيناه سوداء لا بياض فيها، له شعيرات طويلة على جانبي أنفه يداه قصيرتان جدًا، على عكس قدميه الطويلتين، وذيله الذي طوله ضعف جسده " ⁴.

وهناك وقفة أخرى وهي التي تصف العادات والتقاليد وفي القول: " إنهاء الزرنة، وهي أحد تقاليدهم في الأفراح، فتشوقت لرؤيتها، فلما وصلنا إليها وجدنا الناس متجمهرة في ساحة بشكل دائرة، وسطها خيرٌ ترفص، وفوق الخير فرسان بعمائم بيضاء يحملون أسلحة لا تصلح للصيد ولا للحرب كانوا يملؤونها بالبارود ويطلقونه فيحدث دويًا هائلًا وكان الواحد فيهم كلما أطلق دويًا، فرح بنفسه فيعبر عن ذلك بحركة بهلوانية " ⁵.

1 - الرواية، ص 41.

2 - الرواية، ص 71.

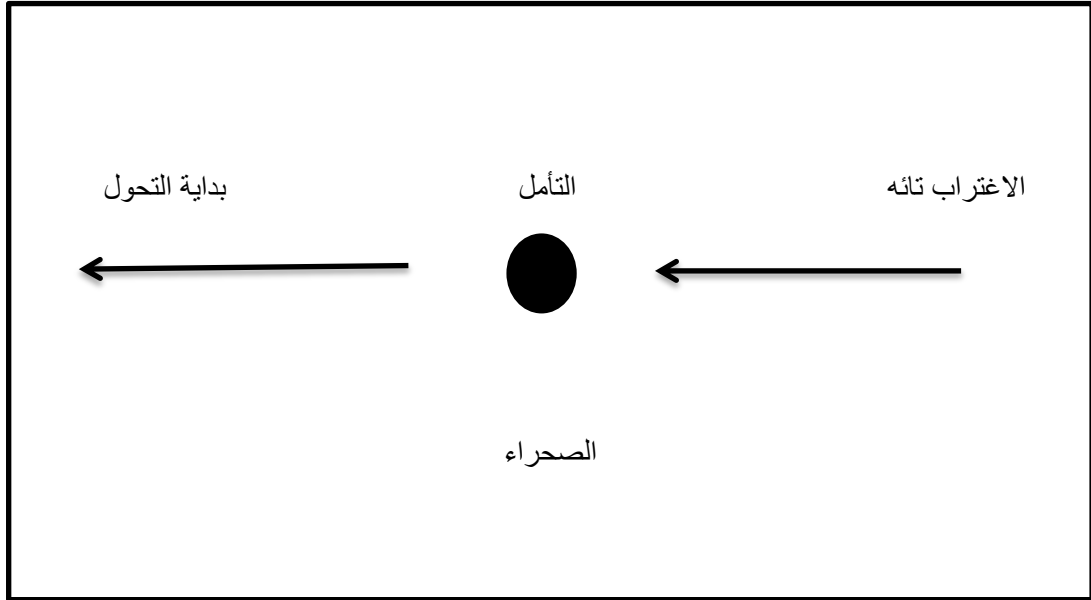
3 - الرواية، ص 71.

4 - الرواية، ص 118.

5 - الرواية، ص 77.

- ونستنتج من خلال هذه الأمثلة أن الوقفة هي إحدى تقنيات الحكى الروائي، تتميز بقدرتها على إيقاف تطور الأحداث، والحد من تصاعد مسارها إلى الأمام، وذلك بفسح المجال أمام الوصف وإدخاله في منظومة الحكى، مما يؤدي إلى توقف جريان الأحداث. فالبطل من خلال هذه المقاطع يسعى إلى الكشف عن الأشياء ومكوناتها والأشخاص وملاحظهم وهي الصورة التي يختلط ويمتزج فيها الوصف بحركة السرد ونمو أحداثه.

والمخطط التالي يوضح الوقفة الوصفية:



مخطط رقم (05): يوضح مرحلة الاغتراب في حياة البطل وبؤرة التحول

خاتمة

خاتمة :

وفي خاتمة هذا البحث يمكننا القول أن :

ظاهرة الاغتراب تعني الإحساس بالغربة المباشرة المادية أو اغتراب الأفراد عن بعضهم البعض نتيجة موقف أو تصرف معين ، له عدة أنواع نفسي، اجتماعي، ديني، سياسي، اقتصادي، والوقاية منه تكون بتوفير جو من الألفة و التفهم و الثقة بالذات

وبالآخرين، وتوصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن أن نجملها في الآتي:

1. الاغتراب في الفكر العربي ارتبط بحياة الإنسان الجاهلي، الذي ظل ينتقل لكسب لقمة عيشه، رافضا النظام القبلي و قسوته .

2. كما اتخذ مفهوم الاغتراب في العصر الإسلامي معنى البعد عن الحياة الاجتماعية الزائفة وتجنب الفسق والرذيلة .

3. أن ظاهرة الاغتراب فرضت نفسها للدراسة في الأعمال الأدبية سواء كان العمل شعرا أم رواية .

4. طغى في رواية الملحد الاغتراب الاجتماعي و بدرجة أقل النفسي والديني، ثم الفكري و الاغتراب الثقافي والعاطفي .

5. أما الاغتراب الاجتماعي ظهر ممترجا بالاغتراب الفكري والديني كون البطل "ميرسو" كان يعيش في البداية في مجتمع محسوب على الدين ألا وهو المجتمع الكنسي المسيحي، أين كانت تصرفات هذا المجتمع لا تعجبه و شعر بأنه ليس مرتاحا في هكذا مجتمع إلى أن قرر مغادرته .

6. إن الاغتراب النفسي يكمن في شعور البطل بالعزلة بعد أن فقد الثقة في كل ما تعلمه و أخذه من مبادئ ومثل وفي كل المحيطين به فرغم تواجده في مجتمعات عدة أثناء تواجده في كل الأماكن التي زارها لكنه لم يكن يشعر بأنه يشاركهم فكرا أو مبدأ .

7. الاغتراب الفكري والثقافي فظهر في عدة أماكن عاش فيها البطل و مع حواراته مع بعض الشخصيات المهمة في حياته برزت ظاهرة تصادمه الفكري مع رهبان الكنيسة بعد

أن جادلهم بالمنطق و العقل فيس عدة مسائل و حقائق تخص العقيدة المسيحية المتناقضة في رأيه، ثم ظهر اغترابه الثقافي في مرحلة وجوده في الصحراء أين وجد نفسه في بيئة مختلفة عنه أشد الاختلاف .

8. شخصية ميرسو تكاد تكون البطل الأوحده و ما باقي الشخصيات الثانوية فقد كان لها دور فعال مع شخصية البطل إذ تزيد من الاغتراب او تنقصه حسب الدور المنوط بها في حياته

9. تجلى الاغتراب النفسي والذاتي بشكل مكثف في الرواية لأنه يعكس حالة البطل النفسية المتأزمة وخاصة في مرحلة الحاده

10. نجد ملامح الاغتراب العاطفي واضحة في الرواية من خلال علاقته المتأزمة بأمه والتي عوضها في ما بعد بتوهم شخصية مريم

11. إن الأماكن رغم تواجدها الكثير في الرواية لكنه لم يركز عن وصفها بل وصف الشخصيات و الأحداث التي تقع فيها .

12. اعتمد الروائي عبد الرشيد هميسي على تقنية الوصف بشكل بارز ووصف الشخصيات والأماكن مثل الصحراء والمسجد والكنيسة

13. تنوعت المشاهد الحوارية بين داخلية مع نفسه وخارجية مع مختلف الشخصيات التي عايشها وخاصة مع خاله ديفيد ومعلمه

14. شكل الاسترجاع في رواية الملحد الحيز الكبير من المفارقات الزمنية وقد ورد ذلك علو شكل استذكارات وفي المقابل نجد الاستباق جاء على شكل توقعات وتنبؤات لحياته المستقبلية

15. تجلت مظاهر الاغتراب الفكري في نقاشه مع كهنة الكنيسة حول قضية التثليث وفي ما بعد مع معلم القرآن حول قضية وجود الله ، أما الاغتراب الثقافي فقد اتضحت ملامحه في مرحلة تواجده في الصحراء حيث اصطدمت أفكاره مع كل ما يراه في تلك البيئة الجديدة عليه.

16. يعد الكاتب عبد الرشيد هميسي كاتبًا واعدًا من شأنه أن ينقل ثقافتنا المحلية إلى فضاءات أرحب بفضل موهبته الفذة في الكتابة، نتمنى له المزيد من الإنجازات والنجاحات الفنية و الأدبية .

هذه الرواية كانت محل دراسة الكثير من الطلبة في هذا الموسم و نحن منهم، فنتمنى أن نكون قد أسهمنا في رفع مكانة الرواية المحلية بدراستها، و قد تجلت لنا على ضوء ما تناولناه أفكار لدراسات جديدة مثل : دراسة الاغتراب في القصة القصيرة أو موضوع الاغتراب من منظور إلكتروني، فمع انتشار وتطور وسائل التواصل الاجتماعي ظهرت هناك أسباب جديدة للشعور بالاغتراب بسبب مقارنة المستعملين لها بين واقعهم وما يرونه فيها .

وفي الأخير نحمد الله سبحانه و تعالى على توفيقنا في الوصول إلى هذه المرحلة من الدراسة العلمية، فإن وفقنا فمنه عزّ وجلّ و إن أخطأنا فمن أنفسنا، فله الحمد من قبل ومن بعد.

الملاحق



الملحد

رواية

لَمَّا استَوينا جالسين، طلبتُ منه أن يحدثني عن إلهه، ولقد كنتُ أنوي أن أتتبع سقطات كلامه فأجعلها مداخل لتفنيد مفهوم الإله الخرافة، أو أستطيع من خلالها أن أدخل له الشك في يقينياته، فأبعثرها وأبددها كما يبدد الريح السحاب ولكنه لم يُجبْ طلبي، وسكت فشعرتُ أن نيتي تكشفت له ثم طلب مني قائلاً: "إلهي جليّ حدثني أنت عن إلهك". صدمني طلبه، لأنني أصبحت في محل دفاع، وقد كنت في محل الهجوم. تهيّبتُ من الرد، ثم فكرت أن ألجمه، فقلت له: "الذي ستسمعه مني يبقى سرّاً؟" فقال: "نعم يبقى". فقلت له: "أنا ملحد؛ كافر.. لا إله لي".



عبد الرشيد هميسي

ISBN 978-9931-790-35-8



9 789931 790358



ميم للنشر
Mim Edition

ملخص الرواية:

رواية (الملحد- بقي بن يقظان) للروائي عبد الرشيد هميسي تروي أحداث شخصية البطل (ميرسو) الذي كان مسيحيا يعيش مع أمّه وجده وخاله (ديفيد) و فيما يخص هذا الأخير كان منبوذ من طرف البطل و أهله وقد أطلق عليه اسم الشيطان لأنه لا يعترف بالمسيحية والكنيسة، كانت الأحداث في هاته المرحلة تدور في البيت و الكنيسة في مدينة مارسيليا، كل حلمه أن يصبح قديسا عظيما لكن وقعت له أحداث جعلته يترك حلمه و ينتقل إلى باريس، فعاش فيها فترة من الزمن عابثا ملحدا، جرب فيها كل الأخلاق السيئة حتى وصل به الأمر للفواحش بأنواعها وسب وقذف للرب، مع فتاة منحها الكاتب دور الفسق و الفجور اسمها (سيمون)، وهذا الطريق الذي سلكه في هاته المرحلة من حياته أشعره بالقذارة، فكر في الموت وحاول الانتحار، غادر إلى شمال إفريقيا بالضبط إلى الجزائر، وفيها دخل السّجن بتهمة القتل غير العمد، لكن توالى عليه الدلائل على أن جرمه متعمد من خلال الشهود الذين يعرفهم وواكبوا الواقعة؛ وبسبب ذلك حكم عليه بالإعدام، ليظهر خاله المنقذ في هاته المرحلة، ويتم تهريبه إلى الجنوب الشرقي الجزائري، مدينة وادي سوف بالضبط منطقة حاسي خليفة، كذلك الفتاة العفيفة التي أطلق عليها اسم (مريم)، الذي ومن خلال قراءاتنا الخاصة لم يكن مجرد اسم بل كان له معنى ضمنى تمثل في العفاف والنقاء والطهر متمثلا في مريم العذراء.

هنا بدأت قناعاته بالإلحاد و التمرد بالتلاشي و الاضمحلال شيئا فشيئا، بفضل معلّم القرآن (سي لمين) وصبر هذا الأخير على أسئلة ميرسو المستفزة والتي تشكك بوجود الله، كان البطل يسعى لا قناع معلّم القرآن بأفكاره اللاحادية و أن كل ما يفعله من عبادة وتعب وأدعية تقربا لله أمور مثيرة للسخرية.

ثمّ ننتقل إلى مرحلة مهمة من حياة البطل وهي مرحلة التيه في الصحراء لوحده مع الطبيعة وقوانينها التي تأكد له أنّها لم توضع جزافا بل لابد أن لها سبب و مسبب وكل

موقف مرّ به في مراقبة الهوام وكيف أنها تتعايش مع البيئة الصحراوية الصعبة وهنا أطلق ميرسو العنان للتأمل في الخلق والخالق و أنّ هذا النظام لم يوجد عبثا بل هو يتبع حكمة إلهية ليس عليه أن يعلمها كلها بل عليه أن يؤمن بوجود الله وحده لا شريك له في تدبر شؤون هذا الكون، في تناص من قصة حي بن يقظان لابن طفيل الأندلسي. أخيرا أخرجته التيه من ظلمات الاحاد إلى نور الإيمان و رجع لوطنه بفكر وقناعات جديدة.

التعريف بالكاتب:

دكتور عبد الرشيد هميسي بن علي كاتب وروائي من الجنوب الجزائري، من مواليد 1984/07/01 درس كل مراحل تعليمه في مسقط رأسه منطقة حاسي حليفة بولاية الوادي، مساره التعليمي كان في ابتدائية الشهيد خطاب عبد الكريم سنة 1990، ثم متوسطة مقى عمار، ثم ثانوية هواري بومدين.

تلقى تعليمه الأكاديمي في جامعة حمة لخضر بالوادي سنة 2003/2007م لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية و آدابها، وبشهادة الماجستير في الأدب العربي من جامعة سطيف سنة 2012م، وبشهادة الدكتوراه من جامعة محمد لخضر بباتنة سنة 2018. يشغل منصب أستاذ محاضر(أ) في جامعة حمة لخضر بالوادي في قسم اللغة العربية وآدابها.

من مؤلفاته (ما تشتهيهِ الروح) و هي الفائزة بالجائزة الوطنية للرواية بالجزائر ديسمبر 2016، عن مسابقة رابطة الفكر و الإبداع. له مصنف نقدي بعنوان: (النص و الحاشية)، و عدة مقالات في مجلات محكمة، ومجموعة قصصية (موسم الوجد) فازت بجائزة السنام الذهبي سنة 2019، والرواية المدروسة (الملحد - بقي بن يقظان -) فائزة بالجائزة العالمية راشد للإبداع. له رواية مرقونة جاهزة للطبع . شارك في عدة ملتقيات دولية ووطنية. أشرف على عدة مسابقات في ملتقيات دولية و وطنية. أشرف على عدّة مسابقات في القصة (مسابقة نادي المميزين، مسابقة نادي خطوة، مسابقة نادي التراث و الأصالة).

ملخص الرواية:

رواية (الملحد - بقي بن يقطان) للروائي عبد الرشيد هميسي تروي أحداث شخصية البطل.

(ميرسو) الذي كان مسيحيا يعيش مع أمّه وجده وخاله (ديفيد) و فيما يخص هذا الأخير كان منبوذ من طرف البطل و أهله وقد أطلق عليه اسم الشيطان لأنه لا يعترف بالمسيحية والكنيسة، كانت الأحداث في هاته المرحلة تدور في البيت و الكنيسة في مدينة مارسيليا، كل حلمه أن يصبح قديسا عظيما لكن وقعت له أحداث جعلته يترك حلمه و ينتقل إلى باريس، فعاش فيها فترة من الزمن عابثا ملحدا، جرب فيها كل الأخلاق السيئة حتى وصل به الأمر للفواحش بأنواعها وسب وقذف للرب، مع فتاة منحها الكاتب دور الفسق و الفجور اسمها (سيمون)، وهذا الطريق الذي سلكه في هاته المرحلة من حياته أشعره بالقذارة، فكر في الموت و حاول الانتحار، غادر إلى شمال إفريقيا بالضبط إلى الجزائر، وفيها دخل السجن بتهمة القتل غير العمد، لكن توالى عليه الدلائل على أن جرمه متعمد من خلال الشهود الذين يعرفهم وواكبوا الواقعة؛ وبسبب ذلك حكم عليه بالإعدام، ليظهر خاله المنفذ في هاته المرحلة، و يتم تهريبه إلى الجنوب الشرقي الجزائري، مدينة وادي سوف بالضبط منطقة حاسي خليفة، كذلك الفتاة العفيفة التي أطلق عليها اسم (مريم)، الذي ومن خلال قراءاتنا الخاصة لم يكن مجرد اسم بل كان له معنى ضمنى تمثل في العفاف والنقاء والطهر متمثلا في مريم العذراء.

هنا بدأت قناعاته بالإلحاد و التمرد بالتلاشي و الاضمحلال شيئا فشيئا، بفضل معلم القرآن (سي لمين) وصبر هذا الأخير على أسئلة ميرسو المستفزة والتي تشكك بوجود الله، كان البطل يسعى لا قناع معلم القرآن بأفكاره اللاحادية و أن كل ما يفعله من عبادة وتعب و أدعية تقربا لله أمور مثيرة للسخرية.

ثمّ ننتقل إلى مرحلة مهمة من حياة البطل وهي مرحلة التيه في الصحراء لوحده مع الطبيعة و قوانينها التي تأكد له أنّها لم توضع جزافا بل لابد أنّ لها سبب و مسبب وكل موقف مرّ به في مراقبة الهوام وكيف أنّها تتعايش مع البيئة الصحراوية الصعبة وهنا أطلق ميرسو العنان للتأمل في الخلق والخالق و أنّ هذا النظام لم يوجد عبثا بل هو يتبع حكمة إلهية ليس عليه أن يعلمها كلها بل عليه أن يؤمن بوجود الله وحده لا شريك له في تدبر شؤون هذا الكون، في تناص من قصة حي بن يقظان لابن طفيل الأندلسي. أخيرا أخرجته التيه من ظلمات الاحاد إلى نور الإيمان ورجع لوطنه بفكر وقناعات جديدة.

التعريف بالكاتب:

دكتور عبد الرشيد هميسي بن علي كاتب وروائي من الجنوب الجزائري، من مواليد 1984/07/01 درس كل مراحل تعليمه في مسقط رأسه منطقة حاسي خليفة بولاية الوادي، مساره التعليمي كان في ابتدائية الشهيد خطاب عبد الكريم سنة 1990، ثم متوسطة مقى عمار، ثم ثانوية هواري بومدين.

تلقى تعليمه الأكاديمي في جامعة حمة لخضر بالوادي سنة 2003/2007م لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها، وبشهادة الماجستير في الأدب العربي من جامعة سطيف سنة 2012م، وبشهادة الدكتوراه من جامعة محمد لخضر بباتنة سنة 2018. يشغل منصب أستاذ محاضر(أ) في جامعة حمة لخضر بالوادي في قسم اللغة العربية وآدابها.

من مؤلفاته (ما تشتهيهِ الروح) و هي الفائزة بالجائزة الوطنية للرواية بالجزائر ديسمبر 2016، عن مسابقة رابطة الفكر و الإبداع. له مصنف نقدي بعنوان: (النص و الحاشية)، وعدة مقالات في مجلات محكمة، ومجموعة قصصية (موسم الوجع) فازت بجائزة السنام الذهبي سنة 2019، والرواية المدروسة (الملد - بقي بن يقظان -) فائزة بالجائزة العالمية راشد للإبداع. له رواية مرقونة جاهزة للطبع . شارك في عدة ملتقيات دولية

ووطنية. أشرف على عدة مسابقات في ملتقيات دولية و وطنية. أشرف على عدة مسابقات في القصة (مسابقة نادي المميزين، مسابقة نادي خطوة، مسابقة نادي التراث و الأصالة).

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب العربية

1. ابتسام مرهون، جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم، علم الكتب الحديثة، الأردن ط1، 2010.
2. ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط1، 2006.
3. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة و النشر، لبنان، مح1، ط1، 1968، مادة (غرب).
4. أحمد النكلاوي، الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر، دار الثقافة العربية، مصر، دط، دس.
5. أحمد علي الفلاحي ، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013.
6. إدريس بودية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، دار الجسور للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2014.
7. اسكندر نبيل رمزي، الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 1988.
8. امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، ضبطه وصححه، مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، لبنان ، دط ، دس.
9. بان البناء القواعد السردية، دراسة في الرواية الأسلوبية، المعاصرة، عالم الكتب الحديث، دار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2009.
10. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، دط ، لبنان، 1998.

11. جعفر محمد راضي، الاغتراب في الشعر العراقي، منشور اتحاد الكاتب العرب، سوريا، ط1، 1999.
12. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمن - الشخصية)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2009.
13. حسن عليان، البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الحرب العالمية 1 حتى 1973م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مطبعة الجامعة الأردنية، الأردن، ط1، 2001.
14. حلیم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية (مناهات الإنسان بين الحلم و الواقع)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 2006.
15. حميد لحداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1990.
16. سفيان ميمون، في الثقافة و الهوية و الاغتراب، جدل الهوية الثقافية في الجزائر، دار الأيام للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2021.
17. سناء حامد زهران، إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر و معتقدات الاغتراب، عالم الكتب، مصر، ط1 ، 2004.
18. الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، نشر عالم الكتب الحديث، الأردن، مج 1، ط1، 2010 .
19. الشنفرى، لامية العرب، شرح ودراسة بد الحلیم حفني، مكتبة الآداب، مصر، ط1، 2008.
20. عباس إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت ، ط 1، 1978 .
21. عبد الرحمان عقيف، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما و حديثا، دار الفكر للنشر و التوزيع، مصر، ط1، 1987 .

22. عبد الرشيد هميسي، رواية الملحد بقيّ بن يقطان، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2022.
23. عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د ط، 2003.
24. عفاف محمد عبد المنعم : الاغتراب النفسي مظاهره و النظريات المفسرة له، دراسة تطبيقية، دار المعرفة الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع، مصر ، ط1، 2008.
25. عمر بوقرورة، الغربية والحنين في الشعر الجزائري (1945-1962)، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، د ط ، دس.
26. فاطمة الزهراء بايزيد، التشكيل الجمالي لصورة الغلاف و العنوان، دراسة سياسة قسم اللغة العربية و الأدب العربي، كلية اللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، د ط ، دس.
27. فريد معشوشو، الاغتراب في الشعر الاسلامي المعاصر، شبكة الألوكة ، ط2، 2015.
28. فيصل عباس، الاغتراب (الإنسان المعاصر وشقاء الوعي)، دار المنهل اللبناني، لبنان، ط1، 2008.
29. قدور عبد الله الثاني، سيميائية الصور، مؤسسة الوراق والتوزيع، الأردن، ط1، 2007.
30. كلود عبيد، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزياتها، ودلالاتها)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان، ط1، 2013.
31. كميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب، أبو العلاء المعري، دار المطبوعات الجامعية، المملكة العربية السعودية، د ط، 2008.
32. لزهة مساعدي، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط ، 2013 .

33. لويس معلوف المنجد في اللغة والاعلام منشورات دار المشرق، بيروت ط31، 1991.
34. محمد صابر عبيدي، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دراسة في اللحمة الروائية، الكتب العلمية، الأردن، دط، 2012.
35. محمود رجب ، الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، مصر، ط3، 1988.
36. مها حسن القصرأوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط 1، 2004.
37. مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه (حكاية بحار - النقل - المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، سوريا ، دط، 2011.
38. ناصر عبد الرزاق الهوافي، القصة العربية، المصدر الإبداع ، دار النشر للجامعات، مصر، ط 3، 1982.
39. نوزاد حمد عمر : الغربة في شعر كاظم السماوي : دار غيداء للنشر و التوزيع ، الأردن، ط1، 2013 .
40. هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي، الأردن، د ط، 2004.
41. واسيني الأعرج، رواية كريما توريوم، سوناتا لأشباح القدس، منشورات الفضاء الحر، الجزائر، ط1، 2008.
42. يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، (الحنين إلى الأوطان)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008.
43. يحي العبد الله، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر جلون الروائية، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، دط ، 2005.

ثانيا: الكتب المترجمة

1. إيريك فروم، الخوف من الحرية، تر: مجاهد عبد المنعم، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 1972.
2. تودروف تيزفطان، الشعرية، ترجمة شكري المبحوث ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 1990.
3. جيرار جنيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمد معتصم و عمر الحلى و عبد الجليل الأزدي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، مصر، ط2، 1997.
4. جيرار جينيت وآخرون، النظرية السرد، تر، ناجي مصطفى، المغرب، ط1، 1989.
5. لودفينغ فيورباخ، أصل الدين، تر: أحمد عبد الحليم عطية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1991.
6. و.ج جبسون، الكنيسة النابضة، دراسة تفصيلية في كل مايتعلق بموضوع الكنيسة ونظامها ونموها بحسب تعليم الكتاب المقدس، هيئة خدمات فيرهيفن سان لياندو، كاليفورنيا، دط، 2002.

ثالثا: المقالات والمجلات

1. بشرى عناد مبارك، الاغتراب الاجتماعي و علاقته بالحاجة إلى الحب، مجلة كلية الآداب، العدد 85، جامعة ديالي، كلية التربية الأساسية، 2008.
2. جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد8، جامعة حمه لخضر، الوادي الجزائر، 2012.
3. سهام علي سرور، الزمن في سرد سهيل ادريس، مجلة ثقافية فصلية عود الند، الأردن العدد 87، 2013.
4. علاء زهير واسماء ربحي، أسباب ومظاهر الاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة كلية التربية، العدد6، مصر، 2009.

5. فضل يحي زيد ،بلاغة المفارقات الزمنية في رواية (عقيلات)، الآداب لدراسات اللغوية و الأدبية، مجلة علمية فصلية محكمة، جامعة إب، العدد الثاني، الجمهورية اليمنية،2021.

رابعاً: الأطروحات والرسائل

1. دنيال علي عباس، الاغتراب النفسي و علاقته بالتحصيل الدراسي، دراسة مقارنة، ماجستير علم النفس التربوي، قسم علم النفس، جامعة دمشق، سوريا، 2015-2016 .

2. عبد الله عبد الله، الاغتراب النفسي و علاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس و علوم التربية و الأطفونيا، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2007-2008 .

خامساً: مقالات المواقع الالكترونية

1. اسلام اون لاين، الإلحاد و أسبابه أنواعه ونصائح للملحدين www.islamonline.net ، 2023/5/5 الساعة 9h33min

2. جميل حمداوي، مقاربة العنوان في النص الأدبي، www.alkalimah.net، 2023/5/4، 9:20.

3. طلال مشعل، معنى الاسلام، موقع www.mawdoo3.com 9نونيو2022. اخر تحديث14:10.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	
إهداء.....	
مقدمة:	أ

مدخل: ماهية الاغتراب ومظاهره وتجلياته في الأدب

أولا - مفهوم الاغتراب:	5
ثانيا- الاغتراب في الفكر الغربي والعربي :	6
1- الاغتراب من منظور الفكر الغربي:	6
2- الاغتراب من منظور الفكر العربي:	11
ثالثا-مظاهر الاغتراب وأسبابه:	14
1- مظاهر الاغتراب:	14
2- أسباب الاغتراب :	18
رابعا-تجليات الاغتراب في الأدب:	21
1- الاغتراب في الشعر العربي:	21
2- الاغتراب في الرواية العربية والجزائرية:	22

الفصل الأول: مظاهر الاغتراب في رواية الملحد:

أولا: الاغتراب الديني	25
1- الاغتراب وتجلياته في العتبة النصية للرواية:	25

2-	الاغتراب عن المعتقدات والقيم الدينية	30
	ثانيا: الاغراب الذاتي والاجتماعي	40
1-	الاغتراب الذاتي	40
2-	الاغتراب الاجتماعي :	47

الفصل الثاني: تجليات الاغتراب من خلال المكونات السردية

	في رواية الملحد	53
	أولا: ملامح الاغتراب في الفضاء المكاني:	54
1-	الاغتراب في الفضاء المكاني الغربي:	54
2-	الاغتراب في الفضاء المكاني العربي (الآخر) :	62
	ثانيا: الاغتراب في الزمنية السردية:	74
1-	المفارقات الزمنية ولامح الاغتراب:	74
2-	الديمومة ولامح الاغتراب:	79
	خاتمة :	87
	الملاحق	90
	قائمة المصادر والمراجع	99
	فهرس المحتويات	106

ملخص الدراسة:

الاغتراب ظاهرة إنسانية شملت مختلف أنماط الحياة، وهي قديمة مرتبطة بظهور الإنسان، وجديدة من حيث الدراسات الأدبية، كونها مرتبطة بأزمات الإنسان المعاصر.

نسعى في دراستنا التي هي بعنوان مظاهر الاغتراب في رواية الملحد لعبد الرشيد هميسي، تطرقنا فيها إلى البحث عن تجليات و مظاهر الاغتراب في رواية الملحد ؟ متبعين خطة متكونة من مدخل بعنوان ماهية الاغتراب ومظاهره وتجلياته في الأدب، و فصلين أولهما : مظاهر الاغتراب في رواية الملحد و فصل ثان: تجليات الاغتراب من خلال المكونات السردية في رواية الملحد.

اعتمدنا على منهجين سياقيين هما النفسي والاجتماعي في تحليل ظاهرة الاغتراب كما استحضرننا بعض آليات المنهج السيميائي في تحليل العتبات النصية، كما استدعى المنهج البنوي في دراسات البنيات السردية (بنية الزمان، بنية المكان) مع الاعتماد على آليتي الوصف والتحليل.

وللإنجاز الدراسة استعنا بمراجع قيمة نذكر منها : الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، ليحيى العبد الله. دراسات في سيكولوجية الاغتراب لعبد اللطيف محمد خليفة. الاغتراب في الثقافة العربية لحليم بركات. ومن أهم النتائج المتحصل عليها الاغتراب، ظاهرة فرضت نفسها في العمل الإبداعي الأدبي شعرا وسردا، طغيان الاغتراب الاجتماعي و بدرجة أقل النفسي والديني، ثم الفكري والاغتراب الثقافي والعاطفي.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب - رواية الملحد - السرد

Study summary:

Alienation is a human phenomenon that includes various lifestyles. It is old and linked to the emergence of man, and new in terms of literary studies, being linked to the crises of contemporary man.

In our study, which is entitled Manifestations of Alienation in the Atheist Novel by Abd al-Rashid Hamisi, we seek to search for manifestations and manifestations of alienation in the Atheist Novel? Following a plan consisting of an introduction entitled What is alienation and its manifestations and manifestations in literature, and two chapters, the first of which is: manifestations of alienation in the novel of the atheist and the second chapter: manifestations of alienation through the narrative components in the novel of the atheist.

We relied on two contextual approaches, the psychological and the social, in analyzing the phenomenon of alienation. We also evoked some of the mechanisms of the semiotic approach in analyzing textual thresholds. The structural approach in studies of narrative structures (the structure of time, the structure of place) together called for reliance on the two mechanisms of description and analysis.

To complete the study, we used valuable references, among which we mention: Alienation is an analytical study of the characters of Al-Taher Bin Jalul, the novelist, by Yahya Al-Abdullah. Studies in the psychology of alienation by Abdul Latif Mohammed Khalifa. Alienation in Arab Culture by Halim Barakat.

Among the most important results obtained is alienation, a phenomenon that imposed itself in the literary creative work in poetry and narration, the tyranny of social alienation and to a lesser degree psychological and religious, then intellectual and cultural and emotional alienation.

Keywords: alienation - the atheist's novel - narration